الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون – تيارت
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية
فرع تاريخ

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ المغرب الإسلامي موسومة بـ:

الحياة العلمية والفكرية بمدينة قسنطينة في العصر الإسلامي الوسيط

(من الفتح إلى ق9هـ/7-15م)

إعداد الطالبات:

- داودي بشرى
- بوشعالة بشرى
- بريجة فاطيمة

إشراف الأستاذ:

د. حاكمي حبيب

أعضاء لجنة المناقشة

الأستاذ	الرتبة	الصفة
د. بوخلوة حسين	أستاذ محاضر	رئيسا
د. برحو بوسيف	أستاذ محاضر	مناقشا
د. حاكمي حبيب	أستاذ محاضر	مشرفا ومقررا

السنة الجامعية: 1443-1444هـ/2022-2023م

شكر وعرفان

نشكر ونحمد الله تعالى الذي منحنا نعمة العقل والتفكير وسهل لنا طلب العلم و أنار لنا الدرب وفتح لنا الأبواب أما بعد:

إنه من دواعي الأمانة والوفاء أن أتقدم بجزيل الشكر للأستاذ الفاضل والمشرف على هذا العمل الأستاذ: "حاكمي حبيب" الذي أمد لنا يد العون ولم يبخل علينا بتوجيهاته وآراءه العلمية ونصائحه المثمرة التي أفادتنا في إنجاز هذا البحث العلمي المتواضع.

كما أقدم شكري وامتناني إلى كل الأساتذة من طور الابتدائي إلى الطور الجامعي.

كما أتوجه بالشكر الخالص إلى اللجنة المناقشة الموقرة وإلى كل طلبة وطالبات الماستر.

وإلى كل من ساهم في هذا العمل ولو بكلمة طيبة من قريب أو بعيد

والله لا يضيع أجر المحسنين.

إهداء

الحمد لله الذي ما تم جهد ولا ختم سعي إلا بفضله

وما تخطى العبد من عقبات وصعوبات إلا بتوفيقه ومعونته

لطالما كان حلما انتظرته، اليوم بكل فخر سأتخرج "مرحلة ماستر" تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط فالحمد لله عند البدء والختام

إلى سكان قلبي

أهدي ثمرة جهدي إلى الاستاذ حاكمي حبيب الذي كان لنا عونا وسندا

أهدي تخرجي إلى من أحمد اسمه بكل فخر إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم أبي الغالي "بوشعالة مولاي الطيب"

وإلى من تحملت كل لحظة ألم مررت بها وساندتني أمي الحبيبة "ملاك فاطنة".

وإلى إخوتي الأعزاء فتحي، مصطفى، محمد، وأختي "فاطيمة بريجة"

وإلى من وقف بجانبي وشجعني خال ملاك عبد العزيز وإلى كل عائلة ملاك

دون أن أنسى صديقاتي الغاليات بشرى داودي، سلاف، إلهام

إلى زوجي وقرة عيني ناصر بو شيخي

ولكل من كان عونا وسندا لي في هذا الطريق ممتنة لكم جميعا ما كنت لأصل دون فضلكم من بعد الله تعالى.

بشرى

إهداء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾

التوبة، الآية: 105.

لا يطيب الليل إلا بشكره ولا يطيب النهار إلا بطاعتك ولا تطيب المحطات إلا بذكرك.

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة نبي الرحمة ونور العالمين نبينا محمد ﷺ.

أما بعد يسعدني وأتشرف بتقديم كل الشكر والعرفان والتقدير إلى الاستاذ "حاكمي حبيب" الذي لم يبخل علينا بنصائحه وتوجيهاته وانتقاداته القيمة التي أمدتنا بالدعم لإنجاز هذا العمل.

إلى القلب الكبير والريحانة التي عطرت ربيع عمري إلى والديّ: أمي وأبي

إلى أختي حفظها الله ورعاها "خيرة" إلى ابنتي قرة عيني "لينة تسنيم"

إلى أخواتي وإلى كل البراعم محمد، عبد القادر، خليدة.

إلى صديقاتي ورفيقات الدرب "بشرى دودي، وبشرى بوشعالة

إلى كل من يحمله القلب

فاطمة

إهداء

قال رسول الله ﷺ: "من لم يشكر الناس لم يشكر الله ومن أسدى إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تستطيعوا فادعوا له".

وعملا بهذا الحديث واعترافا بالجميل، أحمد الله حمدا أبلغ به رضاه وأؤدي به شكره وأستوجب به المزيد من فضله، فاللهم لك الحمد كما أنعمت علينا نعما بعد نعم ولك الحمد في السراء والضراء ولك الحمد في الشدة والرخاء ولك الحمد على كل حال.

أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف "حاكمي حبيب" الذي رافقنا طيلة هذا البحث وأمدنا بالمعلومات والنصائح القيمة راجين من الله عز وجل أن يسدد خطاه ويحقق مناه فجزاه الله كل خير.

أهدي هذا العمل إلى أغلى ما أملك في هذا الوجود "أمي" الغالية التي لم تبخل علي بدعواتها.

إلى من مهد لي طريق العلم وعلمني أن الحياة كفاح ونضال ودعمني ماديا ومعنويا "أبي" العزيز.

إلى إخوتي سندي في الحياة بعد الله "ابراهيم" و"عمر" و"حبيبة" و"خديجة" إلى عائلتي "داودي" و"قماري".

إلى زميلاتي "خولة"، "شيماء"، "أشواق"، "داودية"، "حفصة".

إلى قسم التاريخ كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية– جامعة ابن خلدون.

إلى زميلاتي في هذا الإنجاز "فاطمة" "وبشرى".

وفي الأخير أشكر الله تعالى على إكمال هذا الدرب وعلى الصبر وعلى تحقيق هذا الهدف وإثبات نجاحي الأكاديمي.

"والقادم أجمل بإذن الله".

بشرى.

مقدمة

كان لتأسيس "القيروان" وبروز أهميتها بداية من منتصف القرن الأول للهجرة السابع للميلاد (50هـ/650م)، والذي يترافق مع توسع الفتوحات الإسلامية في بلاد المغرب دور في ظهور أولى التجمعات العمرانية ذات الخصائص و المميزات الإسلامية الراقية، ومختلف مرافق الحياة العامة، فظهرت عدة مدن تطورت و ازدهرت في مختلف جوانب الحياة منها مدينة قسنطينة التي تعد من كبريات مدن المغرب الأوسط كان يطلق عليها أم الحواضر باعتبارها من أقدم مدن العالم التي تعاقبت عليها عدة حضارات فقد شهدت هذه المدينة ازدهارا فكريا و ثقافيا جعلتها محور بحث من طرف الباحثين.

من ضمن الموضوعات التي تبحث في تاريخ المدن والحواضر الإسلامية في مراحلها الوسيطية وقع اختيارنا على مدينة قسنطينة كموضوع لمذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر موسومة بـ: "**الحياة العلمية والفكرية بمدينة قسنطينة في العصر الإسلامي الوسيط (من الفتح إلى ق9هـ/7-15م)**".

تكمن أهمية موضوعنا في التعريف بمدينة قسنطينة وإبراز أهم معالمها الأثرية، والتعريف بأشهر العلماء ورواد المعرفة على اختلاف مراتبهم وطبقاتهم، وإظهار مدى إسهامهم في التاريخ الحضاري للمدينة، وعلاقة الحكام -على اختلاف دولهم ومراحل ظهورهم- السياسية والعمرانية بها.

ومن دوافع اختيارنا لهذا الموضوع فهناك دوافع ذاتية و دوافع علمية:

الدوافع الذاتية منها: الميول الشخصي لدراسة هذا الموضوع، مع اثراء رصيدنا المعرفي حول تاريخ هذه المدينة، و تشجيع الأستاذ المشرف على تناول هذا الموضوع.

أما الدوافع العلمية منها: الكتابة عن مدن المغرب الأوسط وخاصة (مدينة قسنطينة)، لقلة الدراسات والبحوث حول هذا الموضوع لاسيما في الحقبة الإسلامية الوسيطية.

من هنا كان منطلقنا في صياغة إشكالية تتماشى مع دراستنا فكيف يمكننا ترتيب التسلسل الزمني الذي كانت عليه مدينة قسنطينة وأعلامها في عصرها الإسلامي الوسيط في ظل ندرة النصوص التاريخية، وشح مواردها الحضارية المتعلقة بها؟ وهل بالإمكان تقديم مقاربة سياسية ثقافية تشمل المجال والإنسان والمجتمع؟

ولمناقشة هذه الإشكالية وجب علينا الإجابة على عدة تساؤلات فرعية أهمها:

– كيف كانت الحالة الطوبوغرافية لمدينة قسنطينة في هذا العصر تحديدا وما أبرز معالمها العمرانية؟

– ما هي أهم المحطات السياسية والتاريخية التي عرفتها مدينة قسنطينة مع تعاقب مختلف الدول والأنظمة التي كانت تابعة لها وأثرت فيها؟

– ماهي أشهر مراكزها التعليمية؟ وكيف أثرت في حياتها الفكرية و العلمية؟

– من هم أشهر روادها في مجالات العلوم والفنون والآداب؟ وما أبرز إنتاجاتهم الفكرية؟

وللإجابة على هذه الإشكالية اتبعنا المنهج التاريخي من خلال رصد مختلف النصوص التاريخية وترتيبها وتحليلها قصد عرض مقاربة تاريخية موضوعية، كما اعتمدنا أيضا على المنهج الإحصائي من خلال حصر أعلام العلماء والأدباء وإحصاء ما تعلق بأسمائهم وتاريخ ظهورهم ومراتبهم العلمية وما اتصل بإنتاجاتهم الثقافية.

ولدراسة موضوعنا اعتمدنا خطة بحث مكونة من مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

أما الفصل الأول فكان بعنوان لمحة تاريخية عن مدينة قسنطينة، وتركز في ثلاث مباحث، أولا أصل تسمية مدينة قسنطينة تاريخيا، ثانيا الموقع الفلكي و الجغرافي للمدينة، ثالثا أهم المحطات التاريخية التي مرت بها مدينة قسنطينة.

أما الفصل الثاني فقد كان بعنوان العوامل المساعدة في ازدهار الحركة العلمية في مدينة قسنطينة، واحتوى على ثلاثة مباحث أولا علاقة الحكام بالعلم وأهله، ثانيا التبادل الثقافي وأهم الرحلات التي قام بها العلماء، ثالثا أبرز العلماء ودورهم الثقافي في مدينة قسنطينة.

أما الفصل الثالث فقد كان عن أهم مراكز التعليم في مدينة قسنطينة ونظمها، أولا تناولنا فيه المؤسسات التعليمية في مدينة قسنطينة، ثانيا مناهج التدريس، ثالثا العلوم النقلية والعقلية.

وفي ختام دراستنا استنتجنا مجموعة من الاستنتاجات التي أجبنا فيها عن الإشكالية المطروحة في المقدمة، وقد دعمنا بحثنا بملاحق متنوعة، ودعمنا جميع ذلك بمختلف المصادر والمراجع.

أما عن الدراسات السابقة التي تناولت موضوعنا منها:

– دراسة لنيل شهادة ماستر للطالبتين جعرون حليمة، حمادي شيماء، "التعليم ومناهجه في المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط (الدولة الزيانية أنموذجا)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، س2021م، أفادتنا تحديدا في الفصل الثالث في مناهج التدريس.

كذلك اعتمدنا على بحث لعباس قويدر، " المؤسسات التعليمية في المغرب الأوسط خلال القرنين8هـ/14م"، مجلة دورية كان التاريخية، دار الناشري، كويت، س2012م، أفادنا في الفصل الثالث في المؤسسات التعليمية.

كما اعتمدنا في بحثنا على مجموعة من المصادر والمراجع المتنوعة التي أفادتنا كثيرا في مضمون موضوعنا، ومن أهمها:

كتب التراجم والطبقات والمناقب:

– كتاب "**أنس الفقير وعز الحقير**" لأبي العباس أحمد بن حسين، الشهير بابن قنفذ القسنطيني (ت810هـ/1047م)، فقيه ومحدث ومؤرخ بارز، ترجم في كتابه هذا للعلماء والأدباء والمتصوفة، وهو أعرف الناس بالعصر الذي عاش فيه لاسيما من استوطن قسنطينة أو وفد عليها، وقد حاز على الإشادة من معاصريه، وأفادنا في التعريف بعلماء مدينة قسنطينة ومناقبهم ونبذ من سيرهم.

– كتاب "**الوفيـات**" أيضا لابن قنفذ القسنطيني، وهو معجم ترجم فيه لأعلام الصحابة والمحدثين والفقهاء والكتاب، ورتبه المؤلف على الطبقات وتواريخ الوفيات، وقد أفادنا في أشهر الكتب والمصنفات التي ألفها أعلام مدينة قسنطينة، وأشهر محثيها وفقهائها.

– "**نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**"، لأبي العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت1041هـ/1631م)، يعتبر هذا الكتاب موسوعة في التاريخ والتراجم، ومن أهم ما ألف عن الأندلس، تناول فيه تاريخ الأندلس وعلمائها منذ دخول المسلمين إليها، واهتم بأعلام المغاربة ورحلاتهم طلبا للعلم في الأندلس والمشرق، وقد أفادنا في التعرف على جلة منهم، وعن كتاباتهم وعلومهم ومراتبهم العلمية .

- " **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**" لأحمد بابا بن أحمد التنبكتي (ت 1036هـ/1626م) يعد هذا الكتاب موسوعة كبيرة ترجم فيها (630) شخصية من الأعيان والمشاهير والفقهاء وحفاظ الحديث، وعلى الرغم من أنه من المتأخرين إلاّ أنه نقل لنا عدة تراجم عن أصول قديمة مفقودة مما جعله مصدرا مهما، وقد أفادنا في الترجمة لأعلام من الفقهاء والمحدثين المغاربة الذين اشتهروا برحلاتهم إلى بلاد المشرق والأندلس.

- **كتب الرحلة والجغرافيا:**

- **كتاب المسالك و الممالك:** لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت487هـ/1094م)، من أبرز المؤلفات الجغرافية اهتماما بتضاريس أقاليم المغرب الإسلامي وأخباره، وقد أفادنا بجملة من المعلومات الجغرافية عن مدينة قسنطينة، ومسالكها والطرق البرية الموصلة إليها، وعلاقتها بدول وممالك بلاد المغرب.

- **كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق:** لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الشهير بالشريف الإدريسي (ت560هـ/1164م)، يعد كتابه من أهم المصادر التي عرفت بمدن العالم ومسالكها برا وبحرا، وقد أجاد في أوصافه الجغرافية لحواضر بلاد المغرب وبخاصة في العصور التي عاش فيها، و أفادنا فيما اتصل بجغرافية مدينة قسنطينة، ومسمياتها وما جاورها من مدن وحواضر، ونبذة عن تاريخا إلى غاية القرن 6هـ/12م.

- كتاب "**وصف إفريقيا**": لأبي علي الحسن بن محمد الوزان الملقب بليون الإفريقي، (ت957هـ/1567م)، عرف الوزان برحلاته الشهيرة إلى إفريقيا وبلاد المشرق، وفيها اطلع على أخبار الدول والممالك، ووصف ما خبره خلال تلك السنين، وقد أفادنا كتابه في التعرف على أخبار مدينة قسنطينة وعمرانها ومسالكها في الفترة التي عاصرها.

كتب التاريخ الاسلامي العام:

- كتاب "**الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**"، لابن قنفد القسنطيني، أرخ فيه ابن قنفد لتاريخ الدولة الحفصية، ومناقب حكامها وأمرائها، وما اتصل بأخبار بلاد المغرب إبان حكمهم، وفيه أنباء عن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في عصر الحفصيين، وقد أفادنا في التعرف على تاريخ مدينة قسنطينة وعلاقتها بالسلطة الحفصية أيام السلم والاضطرابات.

- "**المعجب في تلخيص أخبار المغرب**": لأبي محمد عبد الواحد بن محمد التميمي المراكشي (ت647هـ/1250م)، كاتب ومؤرخ وأديب، يوصف كتابه "المعجب" من بين أهم الكتب التي أرخت لبلاد المغرب والأندلس، وقد عاصر الدولة الموحدية؛ فكان شاهد عيان للكثير من أخبارها، وبخاصة فيما نقله من معلوماته عن دولتي المرابطين والموحدين، و قد أفادنا في تتبع أخبار مدينة قسنطينة في هذه الفترة، وما اتصل بولاتها وأمرائها.

- **كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر** لمؤلفه عبد الرحمان بن خلدون (ت 808هـ/1405م) ، مؤرخ بلغت شهرته الآفاق، وحاز قصب السبق في وصف العمران واتصل بأخبار المجتمعات وطبائعها، وقد أفادنا في رصد جوانب مهمة من تاريخ مدينة قسنطينة، وبخاصة ما تعلق بأخبار سكانها، وما اتصل بالحياة الاقتصادية والاجتماعية فيها أيام الحفصيين.

اعتمدنا أيضا على جملة من المراجع الحديثة التي ساعدتنا في بحثنا أهمها:

- كتاب " تاريخ الجزائر الوسيط " للمؤلف حساني مختار، فقد أفادنا هذا المرجع في الفصل الثاني في تطور الحياة العلمية والفكرية في مدينة قسنطينة، وكتاب "الانتاج المعرفي لمدينة قسنطينة (ما بعد دولة الموحدين معالمه وأعلامه)، للمؤلف محمد بسكر، أفادنا هذا الكتاب في ابرز المؤسسات التعليمية وفي تطور الحركة العلمية، وكتاب " أم الحواضر في الماضي

والحاضر (تاريخ مدينة قسنطينة) " للمؤلف محمد مهدي بن علي شعيب، أفادنا في التعرف على أهم المحطات التاريخية لمدينة قسنطينة.

وكتاب " معجم أعلام قسنطينة من صدر الإسلام إلى ما بعد الاستقلال " للمؤلف مصطفى بن حسان أفادنا في التبادل الثقافي وأهم الرحلات العلمية التي قام بها علماء مدينة قسنطينة.

من جملة الصعوبات التي واجهتنا قلة النصوص المصدرية؛ بل ندرتها أحيانا فيما اتصل بالحقبة الزمنية التي تم فيها الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، بحيث لا تكاد النصوص تسعفنا في تقديم مقاربة موضوعية عن أوضاع مدينة قسنطينة في هذه الفترة تحديدا، ولا نكاد نقف إلاّ على النذر القليل منها في الفترات التي أعقبت الفتح إلى غاية العصر الحمادي؛ وهو ما حتم علينا الاستعانة بآراء الباحثين واجتهاداتهم المرفقة في مختلف المراجع والأبحاث الأكاديمية.

الفصل الأول:

لمحة تاريخية عن مدينة قسنطينة

المبحث الأول: أصل التسمية.

المبحث الثاني: الموقع الفلكي و الجغرافي.

المبحث الثالث: أهم المحطات التاريخية لمدينة قسنطينة.

المبحث الأول: أصل التسمية.

عرفت مدينة قسنطينة العديد من التسميات طيلة مسيرتها الحضارية منها "كرطن"، و"سيرتا" حيث وجد اسمها مكتوبا على عملة نوميدية بأحرف بونية مكونة من أربعة حروف (ك.ر.ط.ن)، يتصدر وجه تلك العملة رأس امرأة متوج تعلوه برجيات عدة بمثابة القلاع تشير إلى قوة دفاع المدينة، أما فيما يخص معنى التسمية فإن "كرطن" تعني في بدايتها في اللغة الفينيقية السامية (القلعة الحصينة).

نلاحظ أن معنى اسم المدينة يدل على موقعها الحصين، وقد أشير إلى اسم "سيرتا" لأول مرة من قبل المؤرخين الإغريق والرومان في أحداث نهاية القرن الثالث ق.م التي جرت بين الملك "سيفاقس" من جهة والملك "غايا" وابنه "ماسينيسا" من جهة أخرى، وذلك أن سيرتا كانت إحدى عاصمتي "سيفاقس" في حوالي سنة 203 ق.م، والتي آلت من بعده إلى "ماسينيسا" بعد أن انحاز إلى الرومان في حروبهم ضد التحالف القرطاجي النوميدي واستعادته لكرسي العرش الذي حاول سيفاقس قرطاجة انتزاعه منه[1]، كما عرفت باسم "كرتا" وهو اسم فينيقي لأن المدينة كانت على علاقة حسنة بالدولة القرطاجية.[2]

سيفاقس:ملك نوميدي امازيغي، عاش في القرن الثالث قبل الميلاد، ينتمي الى اسرة الماسيسيل التي كان موطنها نوميدية الغربية وصار ملكها، ويسميه ابن خلدون "سفك"، توفي 203 ق.م غابريال كامبيس، في اصول بلاد البربر، ماسينيسا او بداية التاريخ، ترجمة العربي عقون، المجلس الاعلى للغة العربية، الجزائر، د.ط، 2011م، ص 170.

وينظر ابن خلدون عبد الرحمن، العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الاكبر، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1421هـ_2000م، ج6، ص134.

غايا: هو اخر ملوك نوميديا الشرقية الماسيل والد ماسينيسا توفي سنة 207 ق.م بنوميديا ، غابريال كامبيس، المرجع السابق، ص 192.

ماسينيسا: او ماسين 238 ق.م 148 ق.م وهو مؤسس نوميديا، واول ملك لها، وقد قام بتوحيد القائل النوميدية ، المرجع نفسه، ص212.

[1]– محمد الصغير غانم، سيرتا النوميدية، دار العلاج، ج1، د ط،الجزائر، 2015، ص82.

[2]– حساني مختار، الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية، دار الهدى، ج1، د ط، الجزائر، 2011، ص179.

يشير أحد الباحثين إلى أنّ اسم "قرت" أي "قرتا" أو "قرطا" : يكون بهذا الشكل اسما من أصل بوني، معناه (مدينة أو قرية) على غرار الكثير من المدن ذات أصل فينيقي، والتي يبدأ اسمها بقرت أو قرط كما حاول برجار وتبعه شارليي اشتقاق اسم للمدينة من بعض العبارات التي ظهرت في كتابات معبد الحفرة، وهي (س ر م، ب ت م)، حيث اقترح شارليي أن يكون (س ر م)، معناه باب أو أبواب أو ربط المعنى بأخاديد وخوانق وادي الرمال معللا ذلك بوجود في الألف الثانية والأول ق.م مدينتين في بلاد كنعان تسمى سارام وأخرى سارات وقال أن (س ر م) بمعنى أبواب أو أخاديد و (ب ت م) عميقة أو كبيرة.[1]

أما ابن الأنباري أطلق على قسنطينة اسما جديدا وهو مدينة الجابية لوجود مرجل الجابية التي تحفظ فيه المياه.

أما فيما يتعلق بالاسم الحالي فإنه يرجع إلى القرن الرابع ميلادي حيث أعيد بناؤها من قبل قسطنطين الأكبر سنة 337م . بعد الحريق الذي أصابها فخلع عليها اسمه الذي لا تزال تحتفظ لحد الآن.[2]

تعددت التفسيرات حول طريقة كتابة ونطق هذه التسمية، فهي حسب ياقوت الحموي 626هـ/1228م تكتب بالصيغة التالية: "قسنطينة بضم أوله وفتح ثانيه ثم نون وكسر الطاء وياء مثناة من تحت ونون أخرى بعدها ياء مخففة وهاء"، أما أبو الفدا 732هـ/ 1332م فقد زاد عما أورده ياقوت الحموي فيقول: "وهي بضم القاف وسكون السين وكسر الطاء المهملتين وسكون المثناة من تحت ثم نون وهاء، وقال عن بعض المتأخرين أن بعد السين وقبل الطاء نونا، وحينئذ فتكون بضم السين وسكون النون".[3]

[1] – مقروس جهيدة، حاضرة كرتا النوميدية والرومانية، دار الهدى، د ط، الجزائر، س2011 م، ص31– 32.

[2]– حساني مختار، المرجع السابق، ص179.

[3]– عبد القادر دحدوح، قسنطينة محطات تاريخية ومعالم أثرية، نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، ط1.، الجزائر، س2015م، ص18.

فسر ابن العماد في شذراته من انتسب للمدينة بقوله: " القسنطيني: بضم القاف وفتح السين المهملة وسكون النون نسبة إلى قسنطينة"، وقال السيوطي في لب اللباب: "القسنطيني بالضم والفتح والسكون إلى قسنطينة قلعة بحدود إفريقية[1]، ثم أعطى العرب أيضا لتسمية قسنطينة العديد من الاشتقاقات فمنهم من يرجعها إلى أنها متكونة من كلمتين مركبتين "قصر – الطينة" "Ksartina" الذي يعتقد بأنه قصر لملكة تدعى طينة التي كانت تحكم البلاد ولها قصر، وحول هذا الموضوع يذكر الباحث "جولوJouleaud" أنه لا يستبعد أن تكون هناك علاقة بين اسم الملكة طينة والإلهة أثنين الإغريقية التي ذكرها هيرودوت في كتاباته، أما المؤرخ العربي العدواني الذي اعتمد عنه الباحث جولود في دراسته، فإنه قد فسر التسمية المشار إليها سابقا بقصر التينة خلفا عن قصر الطينة ذلك لأن تبنها كان محبوبا وعليه فإن الفرضيات والتفسيرات التي ذكرناها تبقى محل نقاش وجدل قد تحتمل الخطأ والصواب.[2]

ذكر الإدريسي أن اسم المدينة في عهد الدولة الحمادية قد حذف منها الطاء الأولى، فذكرها باسم القسنطينة، تارة وقسنطينة تارة أخرى، وأن هذه الكلمة هي التي أصبحت تعني الهواء،[3] قال الإدريسي في كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق "مدينة قسنطينة عامرة وبها أسواق وتجار وأهلها مياسير ذو أموال وأحوال واسعة، ومعاملات للعرب وتشارك في الحرث والادخار والحنطة، تقيم بها في مطامرها مائة سنة ولا تفسد والعمل بها كثير والسمن يتجهز بها سائر البلاد، ومدينة قسنطينة على قطعة جبل منقطع مربع فيه بعض الاستدارة لا

[1]– مصطفى بن حسان، معجم أعلام قسنطينة من صدر الإسلام إلى ما بعد الاستقلال، دار الإمام مالك للكتاب، ط1، م1، جزائر، س2015 م، ص67.

[2]– محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، دار الهدى، د ط، الجزائر، س2011 م، ج3، ص252– 253.

[3]– علي خلاصي ، قسنطينة مدينة الجسور عبر العصور، منشورات الحضارة، ط1، الجزائر، س 2015م، ص96– 97.

يتوصل إليه من كان إلا من جهة باب في غربيها ليس بكثير السعة، وهناك مقابر أهلها حيث يدفنون موتاهم ومع المقابر أيضا قائم من بناء الروم شبيه بملعب من بلاد صقلية"[1].

أما الحسن الوزان فذكر في كتابه وصف إفريقيا أن مدينة قسنطينة لها أسوار عتيقة عالية، سميكة مبنية بالحجر المنحوت المسود، وهي واقعة على جبل شاهق ومحاصرة من جهة الجنوب بصخور عالية يمر عند قدميها نهر اسمه سوقغماز، والضفة الأخرى لهذا النهر محاطة أيضا بصخور حيث أن الشعب السحيق الواقع بين هذين الجرفين يستعمل كخندق للمدينة وأكثر نفعا لها من خندق، وفي الجانب الشمالي للمدينة أسوار في غاية القوة، حيث أن صعود إلى قسنطينة لا يمكن إلا من طريقين صغيرين ضيقين أحدهما إلى جهة الشرق والآخر إلى جهة الغرب.[2]

ثانيا: الموقع الفلكي والجغرافي

1-الموقع الفلكي:

تقع مدينة قسنطينة بين خطي 26-22-63° و44-21-63. طولا وبين خطي 22-36-6 و22-37-6° عرضا، وبذلك تحتل موقعا جيدا.

2-الموقع الجغرافي:

تقع مدينة قسنطينة في شمال شرق الجزائر على الحافة الشمالية الصحراوية على بعد حوالي 420 كلم جنوب شرق العاصمة الجزائر، تبعد حوالي 84 كلم من مدينة سكيكدة، 156 كلم

[1]- الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مكتبة الثقافة الدينية، م1، د. ط، القاهرة، س2002م، ص265.

[2]- الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ت: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ج2، ط2، لبنان، س1983م، ص 55- 56.

من مدينة عنابة، و130 كلم من مدينة سطيف، و146 كلم من مدينة جيجل، و119 كلم من مدينة باتنة، و198 من مدينة تبسة.[1]

ومن الغرب ميلة 50 كلم ومن الجنوب أم البواقي 100كلم ومن الشرق قالمة 106 كلم.[2]

فهي بذلك تكون قريبة من الجبال التالية في شمال، والسهول العليا، صالحة للفلاحة والرعي، فهي تعتبر موقعا الاستراتيجي.[3]

حيث ذكرها عدة علماء في كتبهم أمثال:

البكري " ثم تسير من مدينة تجيس إلى مدينة قسنطينة وهي مدينة أولية كبيرة أهلة ذات حصانة ومنعة، ليس يعرف أحصن منها على ثلاثة أنهار عظام[4]، تجري فيها النفس فقد أحاطت بها تخرج من العيون أشجار تففيره سود وتقع هذه الانهار في خندق بعيد القعر متناهي البعد قد عقد في أسفله قنطرة على أربع حنايا، ويسمى العبور لأنه معلق في الهواء ويسكن قسنطينة قبائل من اهل ميلة و نفزاوة و قسطيلية" .[5]

الإدريسي ومنها في المشرق إلى مدينة قسنطينة الهواء ثمانين ميلا ويصل بينهما جبل والطريق به والمدينة قسنطينة عامرة بها أسواق وتجار ومدينة قسنطينة على قطعة جبل من قطع مربع فيها بعض الاستدارة لا يتواصل إليها من مكان إلا من جهة باب عزبها ليس كثير السعة.[6]

---

[1]– منتهل مروس جهيدة، حاضرة قسنطينة كرتا النوميدية والرومانية، دار الهدى، د.ط، الجزائر،س2011، ص12.

[2]– عبد القادر دحدوح، المرجع السابق ، ص31.

[3]– منتهل مقروس جهيدة، المرجع نفسه، ص12.

[4]– البكري، أبو عبد الله ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب (المسالك والممالك)، مكتبة المثنى، د.ط، بغداد، ص63.

[5]– المصدر نفسه، ص63.

[6]– الإدريسي،المصدر السابق، ص265.

ابن حوقل: " وأما قسنطينة التي لكتامة فمدينة قريبة الأمر التداني وتفاوت في حالهما".[1]

عبد الواحد المراكشي " المعروفة بقسنطينة الهواء سميت لافراط علوها وشدة منعتها".[2]

المقدسي:

"لولا خوف الملال وطول الكتاب لو صنعت مدينة قسنطينة بقية مدائن إفريقية أكثر الكور في جميع الإسلام لكننا نميل إلى الإيجاز"[3]

ياقوت الحموي:

"قسنطينة الهواء وهي قلعة كبيرة جدا حصينة عالية لا يصلها إلا بجهد وهي من حدود إفريقية مما يلي المغرب"[4]

العبدري:

"ثم وصلنا إلى البلد الذي شقت الخطوب معينة وآيت الأقدار أن تكون له معينة بلد الوضع العجيب والموضع الخطيب، مدينة قسنطينة خير الله صد عنها وكفاها من الذوائب الدرهم، ما واصل فرعها وهي مدينة عجيبة حصينة وبها واد شديد الوعر بعيد القعر كما يحيط بها السور بالمعصم ومعها كما يمنع التوق المعصم".[5]

تعتبر مدينة قسنطينة ذات موقع ممتاز فوق جبل عال تجاورها من الجهة الجنوب صخرة شديدة الانحدار ينبع منها نهر شق في الأرض مجرى عميق واسع ولمدينة قسنطينة

---

[1]– ابن حوقل أبو القاسم بن حوقل النصيبي، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، د ط، لبنان، س1992، ص91.

[2]– منتهل مقروس جهيدة، المرجع السابق، ص43.

[3]– نفسه ،ص40.

[4]– ياقوت الحموي، معجم البلدان، ت محمد أمين خانجي وآخرون، دار السعادة، ط1، مصر س1906م، ص89.

[5]– العبدري، أبو عبد الله محمد البلنسي، الرحلة المغربية، ت: سعد بوقلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، ط1، الجزائر، س2017م، ص57– 58.

باب رئيسي مبنى الحجارة منحوتة المزخرفة تعد من زينة المدن وعددها دورها المكونة ثمانية ألف.[1]

وهي تحتل موضعا جغرافي ممتازا فوق صخرة متوعرة تأخذ شكلا مستطيلا غير منتظم الأضلاع تمتد استطالته في اتجاه محور الشمال الشرق جنوب يتدرج ارتفاعها على هذا المحور بداية من الناحية فوق سطح البحر، يحيط بهذه الصخرة وادي الرمال الذي يرفده وادي كما ذكر الإدريسي والبكري وغيرهم من العلماء بقرب من المدينة يسر الوادي في خندق طوله 2800م، يبدأ عند سيدي راشد وعل عمق 35م وبعرض 60م.[2]

وقد ذكر الحميري مدينة قسنطينة في كتابه روض المعطار في خبر الأقطار أنها: "تقع بين تيجس وميلة وهي مدينة أولية كبيرة آهلة فيها آثار لأول، وخندق محيط بها، الحافات المحدقة بها شبها كثيرا لكن هذه قسنطينة أعظم وأكبر واعلى، فإنها على جبل عظيم من حجر صلد، قد شق الله تعالى ذلك الجبل فصار خندق يدور بالمدينة من ثلاثة جوانب، ونهر الكبير يدخل على ذلك الخندق، وقد عقد الأولون على هذا الجبل قنطرة عظيمة طبقات بعضها فوق بعض وعليها الدخول إلى باب المدينة..."[3]

أما حسن الوزان فذكر في كتابه وصف إفريقيا أن مدينة قسنطينة لها أسوار عتيقة عالية، سميكة مبنية بالحجر المنحوت المسود، وهي واقعة على جبل شاهق ومحاصرة من جهة الجنوب بصخور عالية يمر عند قدميها نهر اسمه "سوقغماز"، والضفة الأخرى لهذا النهر محاطة أيضا بصخور حيث أن الشعب السحيق الواقع بين هذين الجرفين يستعمل كخندق للمدينة وأكثر نفعا لها من خندق، وفي الجانب الشمالي للمدينة أسوار في غاية القوة،

[1]– حساني مختار، المرجع السابق، ص89.

[2]– عبد القادر، دحدوح، المرجع السابق، ص31– 32.

[3]– الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، ت: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط1، بيروت، س1975م، ص480– 481.

حيث أن صعود إلى قسنطينة لا يمكن إلا من طريقين صغيرين ضيقين أحدهما إلى جهة الشرق والآخر إلى جهة الغرب.[1]

ثالثا: المحطات التاريخية لمدينة قسنطينة:

أ-العهد الروماني:

الرومان هما سكان روما التي تقع في إيطاليا فبعد الحروب التي كانت قرطاجة وروما وفوز روما بدأت روما بخلق ذرائع الاحتلال شمال إفريقيا.

فتحت زوال قرطاج أبواب إفريقيا أما روما، التي اتبعت سياسة إخضاع، فقد امتازت سياستها الاستعمارية بالتوسع التدريجي على حساب الممالك الإفريقية، فبعد زوال قرطاج جاء دور نوميديا الشرقية، فلذلك لم تمر 40 سنة حتى أعلنت روما، ضم آخر الأراضي الإفريقية إلى أملاكها.[2]

بعد دخول الرومان أرض إفريقية استغلوا مرحلة الضعف التي كانت تمر بها المملكة النوميدية وتوغلوا أراضيها ليحتلوا قسنطينة في سنة 46 ق.م، غير أن أرابيون الذي قاد مقاومة المحلية استطاع أن يسترجع قسنطينة فيها سنتي 44-41 ق.م وبعد هذا التاريخ تمكن الرومان من استرجاع المدينة وإقليمها.[3]

وزار قسنطينة سنة 313م فأعاد بناءها ورمم أسوارها، وأطلق عليها " قسطنطين".

[1]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 55- 56.

[2]- علي خلاص، قسنطينة مدينة الجسور عبر العصور، منشورات الحضارة، ط1، الجزائر، س2015م، ص44- 49.

[3]- عبد القادر دحدوح، المرجع السابق، ص75.

وتلك الفترة الزمنية استبحر عمران المدينة و قصدها الناس وكثر سكانها وامتد عمرانها إلى خارج.[1]

فالاحتلال الروماني الذي استمر بالقوة قد ساهم في تطور فئة من السكان البربر بعض الشيء حيث أن بعض الفئات الاجتماعية، قد اندمجت بشكل وثيق في النظام الاجتماعي.

فدول النوميديا شكلت حدثا متميزا على أرض شمال إفريقيا وفضل يعود إلى بروز ملوك استطاعوا بناء، دولة قوية وكان من أبرزهم الملك سيفاكس وهو تبنى سياسة تعتمد على المحافظة الاستقلالية وهو حكم مملكة ماسيسيليا التي كانت عاصمتها سيتا قسنطينة، وطمح إلى التخلص من الهيمنة أجنبية (روما) والاستقلال الذاتي.

تحت شعار أفريقية للإفريقيين ولقد استغل الحروب البونيقية التي جرت[2]، بين الروم وقرطاج ليوسعوا المجال الجغرافي كما ذكرنا سلفا فخصنا بالذكر أنها بقيت يبد الرومان فلذلك اقتصر دورها بالوفاء لحلفائها الرومان.

فاستخلصنا أن استطاعوا أن بينوا مركزا سياسيا ولو أنه كان امتدادا لنظام القبلي، وأن المجال الجغرافي الشاسع ليفيد أنهم تجاوزا الأفق القبلي الضيق وتلك سمة من سمات الدول القديمة من الناحية التعريف بواسطة المجال الجغرافي وبسط السيادة لأن الامبراطورية الرومانية كانت في أوج عظمتها، فقد كانت تسمك بزمام أمور في حوض البحر الأبيض المتوسط بشكل تام بعد أن قضت على الدولة القرطاجية[3].

غير أن الاستقرار التي كانت تشهده قسنطينة لم يدم كثيرا خلال الفترة الرومانية لتشهد المدينة على غرار المدن الجزائرية الاستيطان الوندالي في سنة 415م، ثم خلفهم البيزنطيون

[1]- عبد القادر دحدوح، المرجع السابق، ص76- 77.

[2]- عبد السلام الفيلالي، الجزائر الدولة والمجتمع، دار الوسام العربي، ط1، الجزائر، س2013م، ص45- 46.

[3]- هبد السلام فيلالي، المرجع السابق، ص46.

بداية من سنة 539م، وفي هذه المدن الزمنية اشتدت المقاومة وتوسعت الثورات بين المحليين والوافدين على إثر ذلك خربت مدن كثيرة إلى غاية الفتح الإسلامي.[1]

وفي عام 27 ق.م نظم الرومان إقليم قسنطينة وأسسوا الاتحاد السيرتي الذي استمر إلى غاية سنة 251م، وقد كانت قسنطينة مدينة هذه الإقليم الذي تمكن حدوده شرقا من وادي ديرير قرب الساحل شرقي شطابي ثم تمتد نحو الجنوب الشرقي لتصل إلى قاديلوفلة (Gadiaufola) الصبحي حاليا، ومنها تتجه غربا ويستمر في نفس الاتجاه.

عرفت سيرتا في ظل هذا الاتحاد السيرتية يضم ثلاث مدن كبرى أخرى إلى جانب قسنطينة وهي ميلف (ميلة) وشولول (القل) وروسيكا (سكيكدة) وكان لكل مدينة حاكم خاص يقوم بنفذ سلطته على مملكته، بينما تتولى سيرتا عاصمة الدفاع عنها أو تعين القضاة.

شهدت سيرتا في تلك الحقبة الزمنية الأمن والاستقرار والازدهار في عدة مجالات، غير أنها لم تحكم كثيرا بعد النزاع الذي دار حول الحكم الامبراطوري لتشهد المدينة حصارا كبيرا من ألكسندر ف يسنة 311م، وعلى إثره تم تهديم أسوارها وتخريب مرفقاتها، وبقيت على تلك الحال إلا أن تمكن قسنطين من السيطرة على الحكم.[2]

ب- قسنطينة تحت الحكم الإسلامي:

لم يتحدث المؤرخون العرب عن موقف أهل مدينة قسنطينة من جيوش الفتح العربي الإسلامي، والدور الذي كان لها في أيام الفتوحات العربية الإسلامية لإفريقية، فقد تحدث المؤرخون عن أطوار الفتح الإسلامي وذكروا وقائع بتفصيل غير أنهم اكتفوا من أخبار

[1]- عبد القادر دحدوح، المرجع السابق، ص77.

[2]- نفس المرجع، ص75- 76.

قسنطينة بما جاء خبر عارض عن حصانتها ومنعتها وضرب الحصار عليها لمناعتها الطبيعية وظلوا يراقبونها ويضايقونها[1].

كانت المرحلة الأولى للفتح الإسلامي بقسنطينة على حالها كمدينة محصنة جمعت العديد من بقايا البيزنطيين ومن التجأ إليها هروبا من المعارك التي دارت بمنطقتي الأوراس والزيبان وسطيف ومن جهة ظهورها من جديد كان أهمها القيروان التي بدأت منها الفتوحات الإسلامية ثم مدينة تونس ومدينة تيهرت ومدينة فاس، المدن التي شيدت لتكون مراكز اشعاع لدول انسلخت من الجسم الدولة العباسية.[2]

في التسلسل الزمني بدأت قسنطينة تغيب عن الأحداث لعدة قرون لم تظهر بمظهر الطامحين الجدد الذين تتعدى أطماعهم نيل رضا الحكام والسلاطين، فقد تعرضت المدينة للحصار، والأكيد أنها خضعت للتفاوض على الاستسلام أو الصلح، كما جرت عادة الفاتحين المحاصرين للمدن والحصون والقلاع.

وفي بداية الفتح وبعدما قرر عقبة بن نافع[3] مواصلة الفتح ثم عاد جيشه نحو الهضاب ليعلنة أن اقترابه من قسنطينة أن المدينة كانت تحت حكم أحد أفارقة بتبعية لبيزنطة اسمه مالك البريق.[4]

---

[1]– محمد مهدي بن علي شعيب، أم الحواضر في الماضي والحاضر (تاريخ مدينة قسنطينة، دار الروح للنشر والتوزيع، ج 1، ط1، الجزائر، س2015م، ص71– 72.

[2]– علي خلاصي، المرجع السابق، ص85.

[3]– عقبة بن نافع بن عبد القيس الأموي القرشي الفهري (1ق هـ– 63 هـ/621 – 683م): فاتح، من كبار القادة في صدر الإسلام. وهو باني مدينة القيروان، ولد في حياة النبي ﷺ، ولا صحبة له، وشهد فتح مصر، الزركلي، خبر الدين، الأعلام، قاموس تراجم، دار العلم للملايين، ط7، بيروت، 1986م، ج4، ص 241.

[4]– علي خلاصي، المرجع السابق، ص85– 86.

عند وصول عقبة اندهش من الموقع التي تقع به قسنطينة كما ذكرت سلفا، فنصب فرقة بني مناف في مواجهة القنطرة التي تربط الصخرة بالواد الشرقي، فكانت في انحصار مع الجيوش فاستنجد بملك قرطاج[1].

كان عقبة بن نافع يرسل الدعاة إلى البربر والروم يدعوهم بالحكمة وتطبيق السياسة اللينة الرشيدة إلى الدخول في الدين الإسلام ومركز الروم والبربر يومئذ في تيديس وقسنطينة غير بعيدة عن ميلة، ودخل بطاعته كسيلة زعيم البربر والروم فلعل هذه الرعاية كان لها أحسن الواقع وأبلغ أثر في النفوس الفريقين ولا سيما بقسنطينة فصاروا يدخلون في دين الله أفواجا[2].

استقر الإسلام باستقرار الحكم العربي الإسلامي في إفريقية، وإذ علمنا أن عامة بلاد المغرب دخلت في الإسلام كلها فيما بين سنة (85-95هـ/ 704-714م) وحولوا المعابد إلى مساجد، وليس ببعيد أن ينال هذا الاستقرار مدينة قسنطينة برأي ابن خلدون والمقري التلمساني على نحو من 30 سنة متواصلة[3].

بينما كانت الجيوش الإسلامية تحاصر المدينة خرج إليهم مبعوث من قبل الأمير، ولم يكن في الواقع إلا قائد الجيش فالتقى بعقبة وقائد الجيش عبد الله بن جعفر عارضا شروط الصلح قبل المفاوضات الرسمية، ثم عاد وغلق أسوار المدينة، ورغم أنه طلب النجدة من

1- مهدي بن علي شعيب، المرجع سابق، ص74.

2- ينظر ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن الحضرمي، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج6، دار الفكر، بيروت ، لبنان،1421هـ-2000م،ص394.

2- ابن خلدون، المصدر نفسه، ص392.

ملك قرطاجة إلا أنه لم يتلق الدعم منهم، وبعد مرور ثلاثين يوما من حصار الفاتحين للمدينة استمرت المناوشات بين الجيش.[1]

لم يتحدث المؤرخون العرب عن موقف مدينة قسنطينة وساكنيها من جيوش الفتح العربي الإسلامي، والدور الذي كان لها في أيام الفتوحات العربية الإسلامية، ولم تظهر أخبار ذات صلة بأوضاعها السياسية والاقتصادية والاجتماعية على مدار العقود المتلاحقة إلاّ ما ورد بصيغ العموم عن أوضاع حواضر ومدن بلاد المعرب[2].

بعد مرحلة الفتوحات التي وصلنا منها النذر القليل عن مدينة قسنطينة، وندرة الأخبار عنها، نصل إلى محطة ظهور الدويلات التي عرفتها منطقة المغرب الإسلامي، ونبحث عن علاقة قسنطينة بها، فنذكر على غرار تلك الدويلات التي ذكرت لأ جلها مدينة قسنطينة:

بقيت مدينة قسنطينة تابعة للقيروان في فترة الولاة الذين تعاقبوا على حكم إفريقية إلى أن تقاسم بلاد المغرب الرستميون والأدارسة والأغالبة (184- 297هـ/ 800- 909م) بموجب ذلك لحقت قسنطينة بدولة الأغالبة[3].

***العهد الأغلبي:**

امتدت سيطرت الأغالبة على إفريقية بداية من سنة 184هـ/800م إلى غاية 296هـ/909م، وكانت مدينة قسنطينة من بين المدن والحواضر التي دخلت في نطاق حكمهم، وتحت وصية حاضرتهم "القيروان"، وعلى الرغم من ندرة المعلومات عن قسنطينة في هذه الحقبة الزمنية إلاّ الدولة الأغلبية عرفت في أوج قوتها ازدهارا حضاريا وعمرانيا، وقد وصف ذلك ابن خلدون: "وبقيت إفريقية للأغالبة ومن إليهم من العرب، فكان

[1]- علي خلاصي، المرجع السابق، ص86.

[2]- محمد المهدي بن علي شغيب ، المرع السابق، ص71- 72.

[3]- عبد القادر دحدوح، المرجع السابق، ص81- 82- 83.

لهم من الحضارة بعض الشيء بما حصل لهم من ترف الملك ونعيمه"[1] ، و كان امتداد نطاق إفريقية إلى بجاية وتخوم الصحراء جنوبا.

***العهد الفاطمي:**

أصبحت قسنطينة منذ سنة 293هـ/ 905م في ظل حكم الفاطميين الذين اعتمدوا بشكل كبير على القبائل البربرية في إقامة دولتهم، وتكوين أركان جيوشهم؛ وبخاصة قبيلتي كتامة وصنهاجة، في حين بقيت قبيلة زناتة على خلاف وعصيان متكرر للفاطميين ووسياساتهم، وقد امتد هذا التحالف فشمل مدينة قسنطينة ذات الأغلبية الكتامية والصنهاجية فدانت لهم بالولاء وأسهمت في ترسيخ وجودهم، ولا يستبعد مع هذا الانتماء والولاء أن كان للكتاميين في قسنطينة دور في نشر تعاليم المذهب الشيعي وظهور أئمته في مساجدها منافسة للمذهب المالكي[2].

***العهد الصنهاجي (الزيري):**

ظهرت أخبار مدينة قسنطينة وأحوازها بشكل ملفت في عهد سيطرة بني زيري على بلاد المغرب؛ وبخاصة مع إعلان استقلالهم عن سلطة الفاطميين بمصر بداية من سنة408هـ/1017م، وخلع طاعة الفاطميين، والدعاء في المنابر للعباسيين؛ وهو ما أدخل مدن وحواضر بلاد المغرب في خضم الصراعات العسكرية والمذهبية التي دارت بين الصنهاجيين الموالين للأمويين و الزناتيين الموالين للفاطميين، ثم بين أبناء عمومتهم

[1]– ابن خلدون، المصدر السابق، ص 324.

[2]– ينظر رفيق بوراس، الأوضاع الاجتماعية في بالمغرب في عهد الخلافة الفاطمية (296–362هـ/908–972م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، غير مطبوعة، جامعة منتوري كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسنطينة، 2005–2007م، ص ص 21–29، وعلي خلاصي، المرجع السابق، ص88.

الحماديين، ولا يستبعد المؤرخون والباحثون المحدثون مقتل عامل قسنطينة وما جاورها كان في خضم هذه الصرعات[1].

***العهد الحمادي:**

لقد شهدت قسنطينة في ظل الحكم الحمادي (398- 547هـ/1007-1152م) ظهورا بارزا، بحيث تحولت إلى مركز مهم في التنظيم الإداري للدولة، فقد كان خضوع قسنطينة بمبادرة من أعيان المدينة الذين بعثوا إلى الناصر بن علناس " وفدا على رأسه مقدمهم يحيى بن واطاس، فأعلنوا بطاعته، وأجزل بصلتهم وردهم إلى أماكنهم"[2]، وكان يعين على رأسها كبار الأمراء من البيت الحمادي أو المقربين منهم، فقد "عقد الناصر " الولاية على قسنطينة ليوسف ابن خلف وهو من صنهاجة"[3].

ولا يخفى ما لصلة القرابة بين القبائل الصنهاجية في قسنطينة والحماديين من تأثير في توطيد العلاقات، فأصبحت قسنطينة تشكل قلعة وملاذا حصينا للحماديين أثناء الصراعات المسلحة، ما ذكره المؤرخون من أن الناصر بن علناس عندما انهزم في معاركه مع تميم بن المعز لجأ فارا من سيوف العرب الهلالية إلى قسنطينة مع أتباعه ، وأن تغول القبائل العربية

---

[1]- ينظر ابن عذاري، أبو عبد محمد المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ت ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال الناشر: دار الثقافة، بيروت – لبنان الطبعة: الثالثة، 1983 م، ج2، ص 243، و الهادي روجي إدريس، الدّولة الصّنهاجيّة تاريخ إفريقية في عهد بني زيري – من القرن 10 إلى القرن 12م، نقله إلى العربية: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي الطبعة الأولى،1992 بيروت، ص ص 131- 187. وعلي خلاصي، المرجع السابق، ص100.
عبد المؤمن بن علي بن علي الكومي 487هـ- 558هـ/ 1094م- 1163م، كان الخليفة الثاني للدولة الموحدية

[2]- عبد القادر دحدوح، المرجع السابق، ص84- 85- 90.

[3]-ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 203.

في بلاد المغرب عجل بالصلح بين أبناء العمومة الناصر بن علناس وتميم بن المعز[1].

***العهد الموحدي:**

بعد سقوط الدولة الحمادية خضعت قسنطينة إلى الدولة الموحدية (524- 668هـ/ 1130- 1269م) وبقيت مخلصة لهم[2]، ففي عهد الدولة الموحدية فقد كانت قسنطينة كفاءات وقدرات الاستاذ ابن تومرت الفكرية والعلمية عندما مر بها أوائل القرن الثاني عشر، وكذا ما وصلهم عن تلميذه وخليفته عبد المؤمن بن علي من جهة ومن جهة أخرى كانت حالة التي سار عليها يحيى بن العزيز الذي كان مغرما بالصيد ومجالسة الندماء في الوقت الذي اشتد فيه الصراع على السواحل الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط.[3]

حوصرت قسنطينة من طرف علي بن علي بن غانية الذي كان قد استولى على بجاية ففشلت تلك العملية لأن سكان قسنطينة بقوا أوفياء للموحدين وكبدوه خسائر كبيرة، قال ابن قنفذ "أشرف علي بن إسحاق غانية الميريوقي على أخ قسنطينة بقطع الماء عنها ولجأ أهل البلد إلى صالحها الشيخ أبي الحسن علي بن مخلوف فسأل الله المطر فنزل وكانت حملة عظيمة في الوادي فخرقت سد الميورقي ولم يقدر بقطعه[4]، فكانت الدولة الموحدية تدرك أهمية المدينة حيث سارعت لنجدتها فوصلها الجيش تحت قيادة الأمير الموحدي الناصر[5].

فبعد تلك الصراعات التي كانت في تلك الفترة فكانت تمر بتفكك داخلي: أن هذه الظروف من دون شك كان لها انعكاس على عمران مدن المغرب والأندلس كافة وقسنطينة خاصة.

---

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 203.

[2]- عبد القادر دحدوح، المرجع السابق، ص84- 85- 90.

[3]- علي خلاصي، المرجع السابق، ص100.

[4]- علي عشي، الجزائر في عهد الموحدين (دراسة تحليلية للأوضاع الفكرية)، دار النشر الجامعي، د.ط، تلمسان، س2019م، ص95.

[5] - حساني مختار، المرجع السابق، ص189.

فأصبحت مدينة كسائر المدن واندحرت إلى مركز ثانوي أمام كبريات المدن التي تملكوها[1].

***في العهد الحفصي:**

الدولة الحفصية التي أنشأها عبد الواحد بن أبي حفص، والتي اختار لها نظام السلطنة الذي يكون فيه السلطان منتخب بدلا من المملكة التي يكون فيها ملك وراثيا[2].

استقل أبو زكرياء الحفصي 625- 645/ 1228- 1242) بملك تونس في سنة 625هـ/ 1228م، وفي السنة الموالية نهض إلى قسنطينة وكان بها السيد ابن أبي عبد الله الخرساني بن يوسف العشري من قبل الموحدين فحاصرها أبو زكريا أياما ثم تمكن من الدخول إليها وولى عليها ابن النعمان وذهب إلى بجاية[3].

وبداية من 633هـ/ 1235م صارت قسنطينة تابعة لبجاية التي ولى عليها أبو زكرياء ابنه أبو يحي زكريا وواصل بنو نعمان في الولاية قسنطينة، وزارهم السلطان أبو زكرياء.[4]

فبعدها صارت قسنطينة أحد المدن الرئيسية بعد تونس وبجاية وهو من السلاطين الحفصيين الذين استقلوا بالجهة الغربية من التراب الحفصي.

عرفت الدولة الحفصية أيام استقرار ورخاء صارت فيها إفريقية محط أمال المهاجرين، كما عرفت أيام حروب وشقاء، أصبحت القبائل مصدر الهلاك أو البقاء.

استقرت أمور الحفصيين على الجزء الشرقي كان أبو زكرياء قد عقد لابنه يحيى أبي زكرياء على بجاية وأوكل إليه أمور المنطقة الممتدة من قسنطينة وبونة المزاب.[5]

---

[1]- عبد القادر دحدوح، المرجع السابق، ص92- 93.

[2]- علي خلاصي، المرجع السابق، ص105.

[3]- عبد القادر دحدوح، نفسه، ص95- 96.

[4]- نفسه، ص93.

[5]- علي خلاصي، نفسه، ص105- 106.

كانت الحالة العامة السياسية في نهاية العهد الحفصي حالة تأخر وانحطاط في الدولة الإفريقية كلها بسبب الفوضى وكثرة النزاع على الرئاسة، وعدم الانتباه للأخطاء المحدقة بهم من أعدائهم المقابلين لهم على صفة أخرى.

فكان منهم الشارع استمر على الرئاسة كل واحد يريد الإطاحة بالآخر ليحل محله ليستولي على العرش، فآل أمرهم جميعا إلى الضعف والوهن وافتراق الكلمة، وكان يدرك أن المدينة قسنطينة هي بوابة الحكم وملاذ الأمراء، معول في الحصن الحكام التي ظهرت في العديد من حواضر المغرب الإسلامي[1].

[1]- محمد مهدي بن علي شغيب، المرجع السابق، ج1، ص113- 114.

الفصل الثاني:

العوامل المساعدة في ازدهار الحركة العلمية في مدينة قسنطينة

أولا: علاقة الحكام بالعلم و أهله.

ثانيا: التبادل الثقافي وأهم الرحلات التي قام بها علماء مدينة قسنطينة.

ثالثا: أبرز العلماء ودورهم الثقافي في مدينة قسنطينة.

كان العرب قبل الإسلام يجتمعون لأغراض التجارة أو لبعض المناسبات وبعد أن نزلت رسالة الإسلام على يد النبي ﷺ أول ما دعى إليه الله عز وجل هو العلم وتعليم وحذر من اتباع طريق الجهل[1]، فكانت أول كلمة ن كلمات القرآن تدعوا إلى التعليم لقوله عز وجل: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾[2].

وهنا بدأ المسلمون يسعون لاتباع سبل العلم والمعارف ، فقد شهد التعليم الإسلامي خلال تلك المراحل التي مرت بها الأمة الإسلامية والعربية عدة تحولات وتطورات شملت:

- منهجه الذي يعتمد على القرآن الكريم والحديث[3].
- غير أن التعلم باعتباره اكتسابا مستمرا لخبرات جديدة من قبل الكائن الحي وتطوير متواصل لقدراته وإمكانياته لا يمكن أن يتم بصورة تلقائية وبمعزل عن أي تدخل علمي يحدد أسسه ويرسم أهدافه ويرسي قواعده ومناهجه.[4]
- كما كان للحكام دور كبير في تطوير الحركة العلمية والفكرية في مدينة قسنطينة وذلك من خلال تشجيع الحكام للعلماء ودعمهم بشتى الوسائل لطلب العلم وتدريس حيث أن الحركة العلمية هي أساس ازدهار الدولة.

أولا: تشجيع الحكام :

عرفت الحركة المحلية العملية و الفكرية دورا كبيرا في المغرب الأوسط من خلال تشجيع الحكام للعلماء، وجلبهم من شتى الأقطار وإقامة لقاءات علمية ، فكانت هذه المجالس لتقى فيها

[1]– محمد بن سنوسي، العمارة الإسلامية في التمنطيط، مقامات للنشر والتوزيع، دط، الجزائر، 2013، ص137.

[2]– الآية: 01 إلى 05 من سورة العلق.

[3]– جمانة البخاري، التعليم عند الغزالي، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، الجزائر، 1991، ص05.

[4]– نفسه، ص08.

دروس لأبناء البيت الحاكم ولأعيان الرعية[1] ،فقد كان بعضهم يعقد مجالس الفكرية في قصورهم ويتصدرون المناقشة والمناظرة، ويقدرون رجال الفكر والعلم ،كما كانوا يشجعون العلماء على البحث وتأليف والتدريس ويحثون الطلاب على الدرس والتحميل ويوفرون الجوال مناسب لهم يتفرغوا لهذا الغرض[2].

بلغت المجالس العلمية في البيت الموحدي درجة رفيعة ،فقد اعتاد ابن تومرت[3]، محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن المغربي السوسي الملقب بالمهدي مؤسس دولة الموحدية[4]، مناظرة علماء المدن التي مر بها في رحلاته[5]، فقد ذكر البيذق عند وصول "ابن تومرت" إلى قسنطينة نزل عند الفقيه عبد الرحمن الميلي و يحيى بن القاسم وعبد العزيز ابن محمد، فقام بالتدريس وإصلاح الخلق وتوجيه الناس وإقامة حدود الله وكان الطلاب يأخذون من علمه[6].

و من الأمراء الذين قاموا بتشجيع العلماء في المغرب الأوسط ،السلطان أبو يعقوب المنصور مؤسس الدولة الموحدية، كان مجلس عامرا بالعلماء[7]، وأهل الخير والصلاح وكان يهتم بطلاب العلم الذين يأتون من مختلف الآفاق حيث ذكر تاج الدين ابن حموية: "دخلت مراكش في أيام اليعقوب فكانت مجالسه مزينة بحضور العلماء والفضلاء، تفتح بتلاوة ثم الحديث كما كان يجيد حفظ القرآن والحديث ويناظر ويتكلم الفقه[8].

---

[1]– حسين أسكان، تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط، المعهد الملكي للثقافة أمازيغية، دط، رباط، س2004م، ص43.

[2]– محمد بسكر، الانتاج المعرفي لمدينة قسنطينة (مابعد دولة الموحدين معالمه وأعلامه، دار الكودادة للنشر والتوزيع، م1، دط، الجزائر، س2015م، ص73.

[3]– حسين أسكان، المرجع السابق، ص44.

[4]– عبد المجيد النجار، المهدري ابن تومرت، أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي السوسي، المتوفي سنة 524هـ/ 1129م، حياته وأراءه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغر، دار المغرب الإسلامي، ط1، لبنان، س1983م، ص23– 24.

[5]– حسين أسكان، نفسه، ص45.

[6]– رشيد بورويبة، الدولة الحمادية وحضارتهم المركز الوطني للدراسات الجامعية، دط، الجزائر، س1977م، 81– 82.

[7]– علي محمد الصلابي، دولة الموحدين، دار البياق، دط، عمان، س1988م، ص162.

[8]– علي محمد الصلابي، المرجع نفسه، ص164.

وقد شهدت مدينة قسنطينة كغيرها من الحواضر المغرب الأوسط انتعاشا كبيرا في أحوال الثقافة التي المست مختلف جوانب العلوم، ويمكن إرجاع الازدهار الثقافي والعلمي الذي عرفته المدينة إلى تقرب السلاطين وأمراء الذين أقاموا بمدينة قسنطينة للعلماء والفقهاء من مجالسهم[1]، ومن بينهم الأمير أبو زكريا ابن الملك أبي محمد عبد الواحد ابن الشيخ أبي الحفص، ولد بمراكش سنة تسع وتسعين وخمسمائة[2]، الملقب بأبي زكريا، توفي الأمير رحمه الله ليلة الجمعة السابع والعشرين لجمادى الأخرى من السنة سبع و أربعين و ستمائة، كان رحمه الله ملكا جزلا سعيدا، حليما، فاضلا، عاقلا، عالما، شاعرا، فصيحا وله صفات لم تكن متمثلة في غيره من الملوك، كما كان معدودا من العلماء والشعراء وله شعر مدون فشهدت فترة حكمه في قسنطينة تطور كبير في الحياة الفكرية، وكانت أيامه محفولة بجمع رؤساء العلماء وكان يجالس طلبة العلم ومساعدته دون إيالة أحد منهم وهذا التواضع، مما جعل شعراء يقومون بمدحه[3].

ومن العلماء والشعراء الذين قربهم إليه، فجعل منهم الوزراء، كأبي يحيى بن أبي العلاء بن جامع، وابن عمه أبي العلاء إدريس بن علي بن أبي العلاء بن جامع، والقضاة كأبي عبد الله بن زيادة الله القابسي، وأبي زيد التوزري المعروف بابن صائغ، والكتاب كأبي عمر بن سيدمين، وأبي عبد الله الجلاء البجائي.[4]

أما الأمير أبي زكريا إسحاق أحسن فيها السيرة بعقله وتعففه وبعده عن المنكرات، كما كان متواضعا وقريبا من الصوفية ومن مظاهر ذلك أنه رقع مرة ثوبه بيده وكان إذا أهديت له هدية صرفها عنه كما قام بتوسيع جامع الخطبة قسنطينة وأصلحه واشترعا دورا من الحضر وزادها في

---

[1]– حساني مختار، تاريخ الجزائر الوسيط، دار الهدى للنشر والتوزيع، ج4، د.ط، س 2013 م، ص118.

[2]– أبو عبد الله محمد بن أحمد بن شماع، الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، طاهر بن محمد المعموري، دار العربية للكتاب، د.ط، 1984، ص54.

[3]– أبو عباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب، ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، ت: محمد شاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، دار التونسية للنشر ، د.ط، 1968، ص112– 113– 114.

[4]– أمينة سليمة صاري، ومباركة قالم، أحمد بن قنفذ القسنطيني حياته وأثاره، عالم المعرفة، د.ط، الجزائر، س2015م، ص32.

القصبة واصلح سور القصبة وطرقها، كما كان يجالس الفقهاء وعلماء ومن أمثلة ذلك أنه عند مرضه بمدينة قسنطينة وفد إليه الكثير من الفقهاء وأهل العلم لزيارته منهم الفقيه أبو عباس أحمد الغبريني وأبو محمد عبد الله بن الديم وهذا لمكانته بينهم ولحبهم له.[1]

أما الأمير أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله ابن أمير أبي يحيى أبي بكر أمراء الرشدين محي لمجالس العلم فقد قرب له الفقيه أبا زكريا يحيى إسحاق ابراهيم بن وحاد الكومي القسنطيني.[2]

كما كان السلطان أبو عباس أحمد محبا في العدل وإقامة الشرع لا يتعدا أحكامه في رعيته وقيل أنه كثير التردد على الشيخ سيدي أبي قاسم الجليزي وله اعتقاد فيه.[3]

وكذلك الأمير أبي يحيى الحفصي شجع الفقهاء والعلماء وقربهم إليه من بينهم الإمام أبا عبد الله محمد بن الغمار.[4]

وكان الأمير أبو يحيى زكريا ابن شيخ المعظم أبي العباس أحمد ابن الشيخ أبي عبد الله محمد اللحياني بن شيخ أبي محمد عبد الواحد، عالما أديبا محبا لأهل العلم فقرب إليه العلماء منهم القاضي أبا إسحاق بن عبد الرفيع، والفقيه أبو عبد الله محمد ابراهيم التجاني.[5]

وقد كان للعلماء مكانة مرموقة عند الحكام ومن أمثلة ذلك مكانة يوسف بن يعقوب الملاري عند سلاطين بني حفص، جعلت السلطان أبو يحيى أبو بكر يكلفه بمهمة دبلوماسية إلى بلاط التلمساني، وقد قام بهذه المهمة على أحسن ما يرام، حيث تمكن الملاري من إبرام معاهدة هدنة

---

[1]- ابن قنفذ، ، المرجع السابق، ص148- 149.

[2]- نفسه، ص177- 178.

[3]- أبي عبد الله الشيخ محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية، ط1، تونس، س1986م، ص161.

[4]- حساني مختار، المرجع السابق، ص148- 149.

[5]- أبو عبد الله محمد بن براهيم الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ت: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، 1966، ص62- 63.

بين الدولتين مدتها عشر سنوات، وهذا دليل واضح على العلاقة المتينة بين رجال التصوف ورجال السلطة.[1]

وكذلك إمام ابن قنفذ القسنطيني الذي كانت له علاقة قوية بسلاطين الدولة الحفصية ومن بينهم سلطان أبو العباس أحمد ومن مظاهر ذلك تمتعه بمجلس السلطان، ومدحه وثنائه في عدة مواضع في كتاب الفارسية لقوله: "وقف السلطان رحمه الله بقسنطينة وقوف زعماء الملوك"[2] وهذا ما يدل على درجة الولاء الكبير التي كان يكنها ابن قنفذ للسلطان.

ومن نتائج المجالس العلمية التي كان يعقدها السلاطين أنه أصبح أغلب الملوك وأمراء علماء كبارا لهم موسوعية كبيرة في تكوين علمي كالخلفاء الموحدين منهم أبو يعقوب المنصور وأمير الحفصي أبي زكريا[3].

وقد كانت هذه المجالس تغني الحياة الفكرية والأدبية وتساهم في تطورها فبفضل تشجيع الحكام ظهرت أهم المؤلفات إما بطلب من الحكم، أو يؤلفها أصحابها للتقرب بها من الحكام[4]، وعلى سبيل المثال مؤلفات ابن قنفذ القسنطيني "كتاب الوفيات" وهو عبارة عن تاريخ صغير لوفيات الصحابة والعلماء المحدثين والمفسرين والمؤلفين رتبة ابن قنفذ على القرون وعلى تواريخ وفياتهم[5].

وعليه يمكن القول أن مدينة قسنطينة شهدت تطورا عليا وفكريا وأدبيا في تاريخها وذلك من خلال توفر السلطة الجو الثقافي الملائم العلماء، والمفكرين وتشجيعهم للاشتغال بالعلم والمعرفة حيث

---

[1]– عبد العزيز فيلالي، بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط، دار الهدى للنشر والتوزيع، د.ط، الجزائر، 2014، ص72.

[2]– أمينة سليمة صاري ومباركة قالم، المرجع السابق، ص134– 135.

[3]– حسين أسكان، المرجع السابق، ص49.

[4]–حسين اسكان، المرجع السابق ، ص52.

[5]– أبي عباس أحمد بن علي الخطيب ابن قنفذ القسنطيني، الوفيات، ت: عادل نويهض، منشورات دار الأفاق الجديدة، ط4، بيروت، 1984، ص17.

قربوا له العلماء واستقطبوا أهم نوابغ العلم من مختلف أنحاء المغرب حتى صار البلاد ممتلئا بهم، وهذا راجع إلى ثقافة الحكام ودورهم في نشر العلم والمعرفة بواسطة المجالس العلمية التي يعقدونها في قصورهم ويناقشونها، كما أنهم كانوا يرفعون مكانة رجال العلم ويقدرونهم وهذا ما جعل مدينة قسنطينة قبلة يقصدها الطلبة والعلماء لطلب العلم.

ثانيا: التبادل الثقافي وأهم الرحلات التي قام بها علماء مدينة قسنطينة.

1-التبادل الثقافي:

قد عرفت قسنطينة رحلة مجموعة من علمائها نحو المشرق الإسلامي والأندلس وتونس وبجاية وتلمسان طلبا للمعرفة فأثروا وتأثروا عند عودتهم إليها فكان دورهم كبير في نشر المعرفة.

أ-مع بلاد المشرق:

كان أهل إفريقية على اتصال دائم ببلاد المشرق التي يعتبرونها وطنهم الأصلي، أو الوطن الأم لما لها من التعلق بها والحظوة لدى خلفائها سواء في بني أمية أو بني عباس أو بعدهم، فكانت الوفود رائحة غادية في الاتجاهين والرحلات المستمرة بدون انقطاع.

طلب العلم والإجازة أو أداء فريضة الحج وزيارة الأماكن والتعرف على بلاد الإسلام[1].

ب-مع بجاية:

كانت بجاية من بين أهم المراكز الفكرية في الجزائر خلال القرنين الخامس والسادس هجريين والحادي والثاني عشر ميلادي، فقد توافد عليها مجموعة من رجالات الفكر[2].

علي الميلي: "أدركت بجاية تسعين مفتي ما منهم من يعرف الحسن علي الميلي من يكون، كان يقال هذا عن ما يشارك بالتفرد في العلم والتوحد في الفهم، وكان له رحمه الله والفقيه أبي محمد

[1]- محمد مهدي بن علي شغيب، المرجع السابق، ص96.

[2]- حساني مختار، المرجع السابق، ح04، ص53.

عبد الحق الإشبيلي والفقيه العالم أبي عبد الله محمد بن عمر القرشي المعروف ابن قيشة مجلس أظنه يجلسون فيه... يسمى مدينة العلم".

فبهذا القول نستنتج أن بجاية كانت ملتقى العلماء، وتعتبر من الحواضر العلمية بعد القيروان[1].

ج-مع تونس:

تونس هي من أهم حواضر العلمية كانت يشد لها الرحال، كانت قسنطينة عاصمة إقليمية كان أعيانها يتوجهون إلى تونس يتلقون العلم أهم جامع الزيتونة بتونس وبالتالي احتل مكان جامع القيروان وأصبح مقصد للطلبة فتخرج من الاعلام منهم أبو العباس أحمد الغبريني[2].

د-مع تلمسان:

برزت الصلات الثقافية بين قسنطينة وتلمسان منذ أن احتضن بلاد المغرب الدين الإسلامي واللغة العربية، فقد كانت مدينة قسنطينة معبر للطلاب والعلماء والحجاج نحو بلاد الشرق أما تلمسان فصارت محطة للعلماء والطلاب والمتصوفة القادمين من الأندلس والمغرب الأقصى يزورون مساجدها ومدارسها وزواياها، فكانت محجا للصوفية والمريدين، للوقوف على ضريح أبي مدين شعيب بالعباد، كما انتشرت في مدينتين الطريقة المدينية، وهي مدرسة أبي مدين شعيب الغوث، فقد كان يتوافد عليها الكثير من الصوفية، كما لعبت البيتوتات العريقة في مدينتي (قسنطينة وتلمسان) دورا بالغ الأهمية في النهضة الفكرية والعلمية، وكانت العامل الأساسي في التواصل الفكري والثقافي بين اهل قسنطينة وأهل تلمسان ولا سيما أسرة الفكون وأسرة ابن قنفذ، أما في مجال التصوف فقد انفتحت مدينة قسنطينة على زاوية العباد بتلمسان واعتنقت طريقتها ن طريق يعقوب بن عمران البويوسفي[3].

---

[1]- حساني مختار، المرجع السابق، ح04، ص53.

[2]- نفسه، ص120.

[3]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص ص 63- 64- 65- 70.

فكان علماء تونس بدورهم يتولون بها الوظائف المختلفة ويتصاهرون مع عائلتهم ويحملون الكتب، والأفكار كما يذكر ابن الفكون كتابه منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، أن بعض أجداده قرأوا في تونس وتولى فيها التدريس والخطابة والإمامة ويذكر ذلك القاسم الفكون تولى جامع البلاط بتونس وهناك الشيخ الملاري دفعه للزيادة من المعرفة والعلم[1].

لقد عرفت الأندلس هجرات إلى أفريقيا بعد الاستقلال التي كانت تعيشه البلاد، فتأثرت مدن الحواضر أفريقيا بالحضارة الأندلسية الرفيعة تأثرا ملحوظا، فقد عملوا على جلب العلماء والفقهاء والشعراء من أهل الأندلس، فقد استفادت قسنطينة من الجالية الأندلسية من الناحية العلمية والثقافية والتنظيمية[2].

2- أهم الرحلات العلمية:

كانت الرحلات في حقبة زمنية معينة شحيحة رغم كثرة المتوجهين إلى المشرق والأندلس، أما الرحلات الواردة فمنها ما يسير إلى أسماء الشيوخ التي تؤكد رحلاتهم من كتاتيبهم.

أ-رحلة ابن قنفذ:

بعدما تعلم ابن قنفذ القسنطيني في مدينته قسنطينة دفعه حبه وشغفه للعلم للبحث عن مزيد من العلوم فسافر في عمر 18 سنة إلى المغرب وذلك سنة 759هـ فحصل علوما كثيرة وبقي فيها ثمانية عشرة عاما وجال البلاد والتقى بالصالحين أمثال أبا قاسم السبتي واخذ عنه، وقد زار ابن قنفذ مدينة سلا وبها لقي العلامة ابن هاشر، وبعدها رجع إلى أرض الوطن وبقي فيه لمدة سنة

[1]- بن فريحة روبة وحنتيت نورة، الحياة الفكرية في قسنطينة خلال العهد الحفصي، تاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة ابن خلدون، الجزائر، س2015- 2016م، ص44.

[2]- نفسه، ص45- 46.

ثم عزم على شد الرحال في طلب العلم إلى تونس والتقي بالعلامة ابن عرفة بجامع الزيتونة كما قابل في نفس السنة الفقيه أبي الحسن البطرني واستفاد منه[1].

ب-رحلة محمد القسنطيني:

هو محمد بن مبارك القسنطيني درس فيلاده ثم خرج للحج والتعلم في المشرق وجارو بالمدينة المنورة مدة بدون معرفة السبب فقال عنه الس خاوي وأضاف أنه تقدم في العلوم.

رحلة يحي العلمي: هو يحيى بن أحمد بن عبد السلام العلمي القسنطيني:

لقد كان لقسنطينة الكثير من العلماء، درس في تونس ثم هاجر إلى المشرق الذي فيه توظف وطلب العلم ونشره بين أهله في مصر ومكة.

ج-رحلة محمد بن عبد الرحمن الخلوف القسنطيني:

هو محمد عبد الرحمن بن محمد والد الشاعر أحمد الخلوف الذي يعرف أنه من أصحاب التراجم من مواليد مدينة قسنطينة هاجر إلى المشرق، وكل ما قال عنه السخاوي علميا هو أنه كان بارعا في الفقه أما في الشعور والحياة الادبية فلم تلفت نظره[2].

د-رحلة ابن يونس القسنطيني:

هو من الرحالة الذين تعلموا وسافروا مدن المشرق: هو أحمد بن يونس بن سعيد بن عيسى القسنطيني الحميري المعروف بابن يونس.

فكان كثير السفر وكثير لأداء مناسك الحج، مع سفره المتكرر لم يلحظ أنه ترك أي رحلة مكتوبة كما فعل بعض العلماء (البلدي والقلصادي ابن بطوطة)

[1]- نفسه، ص9- 10.

[2]- مصطفى بن حسان، المرجع السابق، م1، ص104- 105.

ولد سنة 813هـ بقسنطينة وفيها ترعرع وأخذ أصول العلم ثم حط الرحال بتونس فأخذ عن مشايخها أمثال البرزلي و الزلديوي ابن غلام الله القسنطيني، ومنها أخذ العلوم العقلية (العربية، الطب...) والعلوم النقلية والعلوم الشرعية ومنها كتاب الموطأ.

هـ-رحلة محمد نقاوسي:

كان لهذا العالم حياة زاخرة بالعلوم في مسقط رأسه وفي المشرق ولد هذا النابغة باسم محمد بن محمد القسنطيني سنة 848هـ بنقاوس التي كان والده قاضيا بها، توجه إلى تونس أخذ الفقه عن ابراهيم الاخضري، كما أخذ أصول علوم النقلية وبعدها حط الرحال إلى بلاد المشرق حج وأخذ العلوم فمدحه السخاوي على فضله[1].

قال السخاوي في الضوء اللامع "محد بن محمد بم محمد ابن أبي يحيى بن أبي علي أبو الطيب بن أبي عبد الله المغربي النقاوسي القسنطيني المالكي"[2].

ثم تحول بعياله وجماعته قاصدا استيطان الحجاز فأقام فيها 3 أشهر ثم رحل إلى مكة، وكتب بخطه ما قام به إجابة بصاحبه الخطيب الوزيري.

و-رحلة طاهر بن زيان القسنطيني:

يحضرنا في هذا المجال الرحلات اسم عالم آخر وهو طاهر ابن زيان القسنطيني الذي رحل لمدينة المنورة عاش حياة صوفية وتأثر بأحمد زروق صاحب الطريقة الزروقية الشاذلية.

ز-رحلة سالم بن طاجين القسنطيني:

هو من المهاجرين الذين ذهبوا إلى الاسكندرية هو سالم بن عبد الله بن سعادة المعروف بابن

[1]- مصطفى بن حسان، المرجع السابق، م1، ص98- 99.

[2]- مصطفى بن حسان، المرجع السابق، ص102.

طاجين، كان من الناس الذين فيهم الصلاح والكرامات وقد كان له أصدقاء علماء وله أناشيد ومدائح[1].

ثالثا: أبرز العلماء ودورهم الثقافي في مدينة قسنطينة

1-أبو يعقوب يوسف بن يعقوب اليوسفي:

وهو أبو يعقوب يوسف بن يعقوب اليوسفي الملاري ولد سنة 680هـ/ 1282م وهو جد الشيخ ابن قنفذ من أمه ومن علماء التصوف بمدينة قسنطينة[2].

فقد أخذ التصوف عن والده وعن ابن العريف وأبي مدين ابن حرزهم والقاضي أبي بكر بن العربي وعن الغزالي وعن إمام الحرمين أبي المعالي وعن أبي طالب المكي وعن أبي القاسم الجنيد[3].

سمي بالملاري نسبة إلى زاويته التي أسسها بمنطقة الملارة التي تبعد عن قسنطينة بمرحلتين عن غرب قسنطينة[4]، فقد انفتحت قسنطينة على زاوية العباد بتلمسان واعتنقت طريقتها عن طريق يعقوب بن عمران البويوسفي فعند دراسته عند الشيخ مسعود بن العريف، تأثر به تأثرا كبيرا فنصحه مسعود بن عريف بالعودة إلى بلده وبناء زاوية، فعند رجوعه أسس زاويته التي كان لها تأثير كبير بمدينة قسنطينة[5].

[1]- مصطفى بن حسان، المرجع السابق، ص102..

[2]- حساني مختار، المرجع السابق، ج4، ص136.

[3]- ابن قنفذ القسنطيني، الوفيات، المصدر السابق، ص328.

[4]- حساني مختار، نفسه، ص136.

[5]- عبد العزيز الفيلالي، المرجع السابق، ص70- 71.

وقد ابتعد عن تيار التصوف الفلسفي الذي يأخذ من الشطحات والرقص برنامجا له، وهي الطريقة التي سلكها أبو مدين الغوث الذي رأى فيها بأن التصوف ليس بالرهبانية إنما يكون بالصبر[1].

كما حرص يعقوب الملاري على العمل بالكتاب والسنة والاعتناء بالجانب التربوي العلمي من التصوف في زاويته[2].

وقد كانت للملاري مكانة عند سلاطين الدولة الحفصية ومن أمثلة ذلك أنه بعد صلاة الجمعة، طلب الشيخ من السلطان أن يقضي له بعض الحوائج، فقضاها له إلا واحدة وهي إطلاق أحد المساجين، فخرج الشيخ من عنده منزعجا فأدرك الأمير خطأ وبعث له ليستسمح منه فقال السلطان للشيخ الملاري "لا تأخذ علينا يا سيدي ونجن أولادك" فرد عليه الشيخ بعد أن ابتسم "غيار الوالد على الولد بالظاهر لا بالباطن"[3].

-تلاميذته:

- أبو عبد الله محمد بن أبي محمد عبد الله الصفار.
- علي الأنصاري.
- قاضي الجماعة ببجاية أبو عبد الله محمد بن يحيى المسفر.
- حسن والد المألف ابن قنفذ[4].

أما فيما يخص باقي أفراد العائلة الملارية، فلم يذكر ابن قنفذ في كتبه حديثا عن أخواله[5].

---

[1]- محمد بسكر، المرجع السابق، م1، ص124.

[2]- عبد العزيز الفيلالي، المرجع السابق، ص71.

[3]- ابن قنفذ القسنطيني، أنس الفقير وعز الحقير، ت: محمد الفارسي أدولف فور، المركز الجامعي لبحث العلمي، د.ط، الرباط، ص44.

[4]- ابن قنفذ ، الفارسية، ص51.

[5]- حساني مختار، المرجع السابق، ص138.

وفي سنة أربعة وستين وسبعمائة توفي يوسف بن يعقوب الملاري وسنه أربع وثمانون سنة، دفن بزاويته بملارة على مرحلتين إلى غرب من قسنطينة.

1-ابن قنفذ القسنطيني:

هو أحمد بن حسن بن علي بن ميمون، أبو العباس اشتهر بابن الخطيب وباب قنفذ القسنطيني الإمام العلامة المتفنن الرحالة القاضي الفاضل المحدث المسند المبارك[1]، ولد في حدود سنة 740هـ- 1339م بمدينة قسنطينة[2]، نشأ وتربى وسط أسرته المتعلمة والمشهورة فقد وردنا أن جده كان خطيبا ثم خلفه والده فيها، وكانت الخطابة آنذاك منصبا رفيعا عند الدولة وعند عامة الناس[3]، وقد تحدث ابن قنفذ بكثرة عن أسرته من قبل أبيه ومن قبل أمه لكنه كان شديد التعلق بأسرته من ناحية أمه فذلك لأنه أدرك جده لأمه في سن الشباب أما جده لأبيه لم يدركه[4].

-**مؤلفاته:** ذكر ابن القنفذ حوالي 27 تأليف من مجموع مؤلفاته في فنون متنوعة من طب وفقه وتوحيد وفلك وغيرها،[5] ومن أشهر مؤلفاته:

الرحلة المسماة بأنس الفقير وعز الحقير: طبعت سنة 1965م بالرباط بتحقيق محمد الفاسي وأدولف فور[6].

-**الوفيات:** وهو كتاب صغير لوفيات الصحابة والعلماء المحدثين والمفسرين والمؤلفين، ورتب ابن قنفذ هذا الكتاب على القرون وعلى تواريخ الوفياتهم ، واستهل كتابه هذا بوفاة سيد الخلق النبي

[1]- مصطفى بن حسان، المرع السابق، م1، ص335.

[2]- امينة صاري ومباركة قالم، المرجع السابق، ص11.

[3]- ابن قنفذ القسنطيني، شرف الطالب في أسنى المطالب، ت: عبد العزيز صغير دخان، مكتبة الرشد، ط1، المملكة العربية السعودية، س2003م، ص19.

[4]- ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية، المصدر السابق، ص51.

[5]- نفسه، ص12.

[6]- أمينة سليمة صاري ومباركة قالم، المرجع السابق، ص12.

الكريم عليه الصلاة والسلام سنة 11هـ[1].

الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية: ألف هذا الكتاب للأمير أبي فارس عبد العزيز تطرق فيه إلى تاريخ الدولة الحفصية[2].

تحفة الوارد في اختصاص الشرف من قبل الوالد: وهو كتاب سياسي فقهي جاء كرد لإفتاء مجموعة من فقهاء بجاية بصحة امتداد النسب إلى النبي محمد عليه الصلاة والسلام عن طريق الأم فحاول فيه ابن قنفذ تبيان خطأ من أقر بذلك من الفقهاء[3].

وسيلة الإسلام بالنبي ﷺ: كتب سنة 787هـ/ 1380م بقسنطينة ويتضمن صفة الرسول صلى الله عليه وسلم وأسمائه ومن قام بحضانته وتحدث كذلك عن زوجاته ومعجزاته والبعض من سنته وفضل الصلاة عليه (عليه أفضل الصلاة والسلام).[4]

-طبقات علماء قسنطينة:

قال عادل نويهض محقق الوفيات أنه اطلع على مخطوطة من هذا الكتاب في مدينة الجزائر ويعمل على تحقيقها لكن بعد وفاته لا نعلم شيئا عن هذا الكتاب[5].

[1]- ابن قنفذ القسنطيني، المرجع السابق، ص17.

[2]- مصطفى بن حسان، المرجع السابق، ص352.

[3]- عاقل حسان، مصطفاوي إلياس، ابن قنفذ القسنطيني حياته وإسهاماته العلمية 740هـ- 1339م/ 810هـ- 1407م، مذكرة ماستر تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، قسم العلوم الإنسانية، كلية علوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن خلدون، الجزائر، س2015م- 2016م، ص48.

[4]- محمد قوسيم، ابن قنفذ القسنطيني ومنهجه في كتابة التاريخ، الجزائر، مجلة حوليات جامعة قالمة للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 07، س2013م، ص235- 236.

[5]- المرجع نفسه ، ص237.

***شيوخه:**

الشيخ أبو علي بن أبي القاسم بن باديس: تتلمذ على يده الشيخ ابن قنفذ وهو ابن عمه وابن خالته ويذكر أنه قد روى عن ناصر الدين المشدالي ومحمد بن عزيون البجائي والقائي ابن عبد الرفيع وغيرهم تولى القضاء ببلده قسنطينة، وتوفي الشيخ سنة 787هـ/ 1385م عن عمر يناهز التسعين سنة[1].

-أبو علي حسن بن خلف الله بن باديس:

كان قاضيا وخطيبا وفقيها، فقد تولى قضاء قسنطينة روى عنه ابن قنفذ الحديث في كتابه الوفيات فقال: "شيخنا الفقيه القاضي العدل الخطيب المرحوم أبو علي روينا عنه الحديث وغيره..." توفي سنة 784هـ/ 1382م[2].

-أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق التلمساني:

اشتهر بلقب الجد الرئيس والخطيب وهو من أبرز الشخصيات الجزائرية ولقد آية في الأدب والدين والسياسة، سمع منه ابن قنفذ صحيح البخاري وغيره في مجالس مختلفة[3].

ومن مشائخه أيضا الإمام النحوي ابن حياتي والمفتي أبي محمد عبد الله الوانفيلي الضرير، والأستاذ الفقيه أبي حسن محمد البطرني من تونس وإلى غير ذلك من مشائخ وأعلام[4].

---

[1]- حساني مختار، المرجع السابق، ج4، ص142- 143.

[2]- أمينة سليمة، صاري، ومباركة قالم، المرجع السابق، ص80- 81.

[3]- ابن قنفذ القسنطيني، المرجع السابق، ص8.

[4]- أبو العباس أحمد بن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطيني، وسيلة الإسلام بالنبي عليه الصلاة والسلام، ت: سليمان الصيد، دار الغرب الإسلامي، ب.ط، ص10.

2- ابنا الفكون: (الجد والحفيد).

المعروف أن أسرة الفكون كان أفرادها توارثوا المناصب العلمية والسياسية بداية من العهد الحفصي وساهمت في الحركة الفكرية في قسنطينة لعدة قرون وترجع أصول هذه العائلة إلى بني تميم من عرب الحجاز، حسب ما وجد مكتوبا بخطوط أيدي أسلافهم، نزحوا إلى هذا الشمال الإفريقي مع النازحين منذ الفتح الإسلامي، قدت أسرة الفكون أسماء كثيرة في مجال الفكر والثقافة وتدرج أفرادها في المناصب الهامة في الدول المتعاقبة في حكم قسنطينة وساهمت في مشاريع اجتماعية وعلمية وإذا أعدنا إلى التصفح رحلة محمد العبدري البلنسي[1] (نحو 720هـ/ 1320م) صاحب الرحلة المغربية يتحدث عن أحد أفرادها منها:

عبد الكريم الفكون الجد:

عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون هو عالم قسنطينة الملقب بالشيخ الإسلام الأديب النحوي، المحدث الجامع بين علمي الظاهر والباطن كان عالم المغرب الأوسط آنذاك[2].

هذا العالم الجهيد يعد الشخصية نابغة من الشخصيات المعروفة في العالم الإسلامي في عصور الانحطاط فقد عاش خلال القرن 11م في الوقت الذي اشتدت فيه القطعية بين العالم الإسلامي وازدهر فيه التصوف المزعوم والدروشة والأمية والتخلف العقلي وكثر فيها الفقهاء والمتفقهين.

واستولى علي فيه على مقاليد السلطة حكام جهلة وطغاة وغرب عن حاجات وأحاسيس المجتمعات الإسلامية التي يحكمونها فأصبحت في كل أنحاء زوايا صوفية تشج فيها الحضرة والرقص العصبي والإيمان بالغيبيات والروحانيات.

[1]- محمد بسكر، المرجع السابق ، ص283- 284.

[2]- عادل نويهض، الأعمال الخاصة بالجزائر(معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، دار الأبحاث ج1، ط1، الجزائر، س2013، ص396.

وفي ذلك الجو ظهر الشيخ الإسلام عبد الكريم الفكون فحمل إليهم كل من صفات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد في سبيل الرجوع إلى سواء السبيل ونادلى بالنشر العلم والتعمق فيه[1].

فكان الفكون منشغلا بحملة التدريس والتأليف والافتاء والإقراءكان إمام بالجامع الأعظم وخطيب وممن يرجع إلى قوله في النوازل والأحكام وكانت الولاية أغلب عليه مواظبا على الأذكار وقيام الليل.[2]

عبد الكريم الفكون: وسمي على جده لأنه ولد على اثر وفاته ويتحدث الفكون عن نفسه أنه عندما كانت أمه حاملا به سألت جده دعاء فقال لها جعل الله عمارة الدار منك".

وتلك الجملة فإذا دلت تدل على أن الفكون كان أول مولود لأبيه محمد وأن الفكون ظل يحمل هذه الفكرة طوال فترة حياته أي هو عمارة الدار الفكونية.

شيوخه:

فلقد أشار الفكون نفسه إلى بعض حياته في طفولته وشبابه الباكر فقد كانت قسنطينة في نهاية القرن الثلاثين على تراث عمر الوازن وعبد الكريم الفكون الجد وعبد الرحمن الأخضري ويحيى الأوراسي فكان تلاميذ هؤلاء هم الذين يرأسون حلقات الدرس في مساجدها.

فقد ذكر هو أن شيخه في تدرسه القرآن الكريم هو أبو القاسم بن عيسى الزواوي الملقب بثلجون.

يحي الأوراسي: قال عنه الفكون أنه سمع به ورأى ذاته ولكنه لم يقل أنه أخذ عليه العلم[3].

---

[1]- مصطفى بن حسان، المرجع السابق، ص45- 46.

[2]- عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، ت: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، ط1، لبنان، 1987، ص48.

[3]- مصطفى بن حسان، مرجع سابق، م2، ص109- 110- 113.

سليمان القشي:

قرأ عليه أوائل الرسالة وحضر باقيها وبعض أوائل الألفية، كان من الملازمين لشيخه وأحد العارفين بسيرته وأخباره، وكان الشيخ القشي من الذين درسوا في الأزهر الشريف مدة من الزمن[1].

عبد العزيز النفاقي:

درسه الحساب وبعض الفرائض وقد لقى العلم هو بدوره عبد العزيز النقاقي على يده الشيخ الشمير الشريف النجار بتونس[2].

محمد الفاسي المغربي:

تلقى منه بعض المسائل الاسطرلاب وبعض الفرائض ولكن الفكون وجد لديه قصور في العلم[3].

محمد ابن راشد الزواوي:

تلقى منه علم النحو وتأثر به كثيرا لأن ابن رشد قدم عليهم ونزل عندهم فحبب ابن رشد علم النحو إلى قلب الفكون[4].

محمد التواتي:

تمدرس على يده فأخذ منه المرادي في النحو مرارا كما قرأ عليه عقائد السنوسي بشرحها، وابن حاجب بمطالعة التوضيح، ودرسه لصحيح مسلم بن حجاج وحاشية الجمع التكسير المرادي وهي بخط التواتي نفسه[5].

---

[1]- مصطفى بن حسان، المرجع السابق، م2، ص113- 114- 115.

[2]- نفسه، 115.

[3]- نفسه، 115.

[4]- نفسه، ص 114.

[5]- نفسه، ص 113.

تلامذته:

أبو المهدي عيسى الثعالبي: أخذ عنه في قسنطينة وترجم له فهرسته وأشار أنه أقرأ عليه كتاب موطأ الإمام مالك والصحيحين، وطرقا من الأحكام الصغرى.

أبو سالم العياشي: صاحب رحلة الماء والتقى شيخ عبد الكريم فكون في الحج.

بركان ابن باديس: من تلامذة الشيخ عبد الكريم أفرد في رسالته نزع الجلباب[1].

محمد وارث الهاروني: انتقل إلى قسنطينة وجلس في حلقة الفكون.

علي بن عثمان من الشريف الزواوي: قدم علي الفكون وأخذ عنه شرح المكودي والمرادي[2].

محمد الفكيرين: قال الفكون عنه إنه كان غير السن ومع ذلك كان أحسن من أخيه الشيخ عاشور بن موسى الفكيرين[3].

مؤلفات عبد الكريم الفكون:

1-محدد السنان في النحو إخوان الدخان.

2-منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية.

3-ديوان الفكون.

4-فتح اللطيف (في الصرف).[4]

5- ديوان الشعر في المديح النبوي انتهى منه 1031.

6-(تقييد) ذكر فيه مرضه وتلونه وعدم ثباته على صفة واحدة.

7- شافية الأمراض لمن التجأ إلى الله بلا اعتراض أو العدة في عقب فرج بعد الشدة.

---

[1]- مصطفى بن حسان، المرجع السابق، ص149- 157.

[2]- نفسه، ص149- 157.

[3]- نفسه، ص 157.

[4]- المرجع نفسه، ص ص219- 226.

8-مجموعة خطب.

9-سريال الردة في جعل السبعين لرواة الإقراء العدة.

10- التقييد في كرمات الشيخ عمر الوزان.

11- نظم الدرر على الشرح المختصر.

12- تقييد في مسألة حبس.

13- سلاح التدليل في دفع الياغي المستطيل.

14- فتح اللطيف في شرح أرجوزة المكودي في التصريف.

وفاته:

توفي الشيخ عبد الكريم بن يحيى الفكون ليلة الجمعة من شهر رجب الأصم عام (988هـ/ 1980م) وقبره المعروف إلى الآن بدار آل الفكون الكائنة بحي الحزارية، ونقش على شاهده قبره العبارة الآتية[1]: "بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: "﴿ **قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ** (67) **أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ** (68)﴾"[2]، هذا قبر الوالي الصالح شيخ المشايخ الإسلام وقدوة أنام العالم والمفتي والمدرس"[3].

[1]- محمد بسكر، المرجع السابق، ص286.

[2]- سورة ص، الآية 68 .

[3]- نفسه، ص286.

الفصل الثالث:

أهم المراكز التعليمية في مدينة قسنطينة ونظمها

المبحث الأول: المؤسسات التعليمية.

المبحث الثاني: مناهج التدريس.

المبحث الثالث: العلوم النقلية والعقلية.

أولا: المؤسسات التعليمية.

عرفت مدينة قسنطينة نهضة علمية لم تشهد لها مثيل حيث انتشر بها التعليم بواسطة انتشار المؤسسات التعليمية من مساجد وزوايا ومدارس وكتاتيب ومكتبات، مما زاد إقبال الطلبة عليها من تونس وبجاية والأندلس فتكون بها مكتبات تزخر بالمجلدات وأمهات الكتب في مختلف التخصصات وكان دور هذه المؤسسات تدريس وتحفيظ القرآن الكريم[1].

بعد ظهور هذه المؤسسات في بلاد المغرب منذ القرن الأول الهجري السابع ميلادي عندما وصل إليها الفاتحين المسلمين وكان المسجد أول نواة بهذه المؤسسات ث بدأت تظهر بالتدرج مؤسسات أخرى[2].

1-المساجد:

لغة: سجد الرجل يعني انحنى وتظامن إلى الأرض وسجد البعير أي صف رأسه عند ركوبه ويقال مسجد بكسر الجيم أي مصلى الجماعة[3].

اصطلاحا: المساجد منشآت صغيرة الحجم بسيطة العمارة ونادرا ما تكون سامقة الارتفاع[4] وهو مقر للعبادة تلقى فيه الدروس وتعقد فيه حلقات البحث، وتنظم فيه المناظرات العلمية والحوارات الفقهية، والمطاردات الأدبية واللغوية ودروس الوعظ والإرشاد والافتاء، وكانت تقرأ فيه البلاغات الرسمية للدولة[5].

---

[1]- كمال غربي، المساجد والزوايا في مدينة قسنطينة الأثرية، د.ط، منشورات شؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، س2011، ص63.

[2]- سعاد فريال، المساجد، الأثرية لمدينة الجزائر، دار المعرفة، د.ط، الجزائر، س2010، ص07.

[3]- محمد بن سنوسي، المرجع السابق، ص100.

[4]- حسين مؤنس، المساجد، عالم المعرفة، د.ط، الكويت، س1981، ص28.

[5]- عبد العزيز فيلالي، تلمسان في عهد الزياني (دراسة سياسية عمرانية اجتماعية ثقافية)، موفم للنشر والتوزيع، د.ط، الجزائر، س2002، ص145.

وتقام فيه الصلوات الخمسة المفروضة وغيرها، كما سمي بالمسجد لأنه مكان سجود الله عز وجل[1].

أما الجامع فيعني المسجد الكبير الذي تؤدي فيه الصلاة الجامعة، وهو أكبر حجما من المسجد وإن أول لبنة وضعت في الدولة الإسلام تمثلت في بناء رسول الله ﷺ لمسجده في مدينة المنورة عند مربد التمر[2].

وعلى سبيل هذا التعريف مدينة قسنطينة العديد من المساجد ن بينها:

الجامع الكبير:

وهو من بين المؤسسات القديمة بمدينة قسنطينة يرجع المؤرخون تاريخ تأسيسه إلى فترة الحمادية وبالتحديد إلى سنة 455هـ/ 1063م على عهد ابن علناس، بينما يرجعها البعض إلى سنة 530هـ/ 1136م على أيام يحيى بن عزيز، كما يرجع بعض المؤرخون على أنه قد شيد في عهد الولاة، أي عهد هرثمة بن أحين، قبل قيام الدولة الأغلبية بأربعة سنوات وما جاء بعده التواريخ ترميم أو تجديد[3]، وقد تولت أسرة ابن فكون تسيير شؤونه لمدة قرون[4].

ومن العلماء الذين سبق لهم التدريس في هذا المسجد السادة المشايخ المكي البوطالبي المدفون بفناء المدرسة الكتانية وكذلك شيخ محمد بن عيسى الشاذلي البوزيدي وكذلك شيخ عبد القادر المجاوي الذي يعتبر بحق أبا النهضة الثقافية العربية في هذه البلاد قبل الشيخ ابن باديس[5].

---

[1]- مروى عصام صلاح، التاريخ والثقافة المعمارية، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، ط1، عمان، س2014، ص291.

[2]- محمد سويسي، المرجع السابق، ص101.

[3]- علي خلاصي، المرجع السابق، ص 93- 94.

[4]- عزي بوخالفة، قسنطينة (قلعة النور الخالدة)، ط1، وزارة الثقافة، الجزائر، 2015، ص88.

[5]- كمال غربي، المرجع السابق، ص94.

جامع القصبة:

يعتبر جامع القصبة من المساجد العريقة في مدينة قسنطينة فقد بني خلال فترة الهيمنة الموحدية وتم ترميمه من قبل أمير أبي زكريا الحفصي[1]، فبنى له صومعته ونقش عليها اسمه[2].

-جامع رحبة الصوف: ذكره "شيربونو" في بحثه آثار قسنطينة الذي نشره في المجلة الشرقية الجزائر سنة 1853م، أنه يرجع إلى قرن 5هـ وكانت له أوقاف شأن مختلفة البيانات الدينية.

-جامع سيدي قموش: من المساجد العتيقة في قسنطينة يعود تأسيسه إلى القرن التاسع، حيث كانت تقام فيه الصلوات الخمس وتعليم القرآن للصغار، وقد ذكرت بعض الصادر مسجدا صغيرا في العصر الحفصي وهو مسجد الشيخ الفاضل أبي عبد الصفار الذي دفن فيه سنة 1349هـ داخل باب القنطرة، كما يرجع إلى العصر الوسيط مسجد سيدي أبي الحسن بن مخلوف الولي الصالح المعاصر لحصار المدينة من طرف ابن غانية في آخر ق12هـ[3]..

2-الزوايا:

زاوية لغة: كلمة زاوية مشتقة من فعل انزوى بمعنى اتخذ ركنا من أركان المسجد للاعتكاف والتعبد، كما يطلق على الزوايا لفظ الخوانق، وهي جمع خانكا، كلمة فارسية تعني البيت.

[1]-روبار برنشفيك، تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13 الى غاية نهاية القرن 15 ميلادي، دار الغرب الاسلامي، ج1، ط1، لبنان، س1988م، ص419.

[2]-الباجي المسعودي، الخلاصة النقية في امراء افريقيا، ت: د. محمود زينهم محمد عزب، دار الافاق العربية، ط1، س2012م، ص169.

[3]-محمد بسكر، المرجع السابق، ص76-80 .

ويقول سنوسي: "إن كلمة زاوية دال على معناها، وهي من زوى يزوي إذا جمع شيء"[1].

اصطلاحا:

وهي مراكز لتحفيظ القرآن وتعليم أصول الدين الإسلامي والعلم الشرعي ونشر أخلاق والفضائل الإسلامية وهي بذلك حصون العقيدة والإيمان.

وهي في الأصل ركن البناء أطلقت على مصلى أو مسجد الصغير عند المسلمين في المشرق العربي على أن مصطلح الزاوية ظل في المغرب الإسلامي أكثر شمولا إذ يطلق على بناء أو طائفة من أبنية ذات طابع الديني، وقد نشأت الزوايا بالمغرب في القرن 5هـ/11م إذ سميت في بادئ الأمر بدار الكرامة[2].

وعليه فقد عرفت مدينة قسنطينة العديد من الزوايا التي كانت مركز هام لتدريس وتحفيظ القرآن الكريم ،حيث لعبت الزوايا دور مهم في تخريج طلبة العلم والقضاة منها [3]:

زاوية الملاري:

وهي زاوية تقع غرب مدينة قسنطينة بمنطقة الملارة مؤسسها يوسف بن يعقوب البويوسفي وهو جد الشيخ ابن قنفذ من جهة أمه، كان يلقب بالملاري[4]، ولد سنة (680هـ/1232م) كان من علماء التصوف[5]، تتلمذ على يد الشيخ مسعود بن العريف فتأثر به تأثرا كبيرا فنصحه الشيخ المسعود أن يعود إلى بلده لبناء زاوية وكان ذلك في القرن 7هـ/ 13م، وقد حرص

[1]– كفاح جرار، المرجع السابق، ص19.

[2]– عبد العزيز شهني، الزوايا الصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، منشورات الأنيس، ط1، الجزائر، 2018، ص19.

[3]– FERAUD,(C.H), histoire des villes de la province de Constantine, bougie, arnault, paris, 1869,p217.

[4]– محمد بسكر، المرجع السابق، ص209.

[5]– مختار حساني، المرجع السابق، ص136.

اليعقوب الملاري على العمل بالكتاب والسنة والاعتناء بالجانب التربوي والعلمي من التصوف في زاويته[1].

وهذا ما جعل زاويته لها تأثير كبير في قسنطينة والمغرب الأدنى فأصبحت للمرتدين وملاذا يلجئون إليه وقت الشدائد ويحتمون ببركات شيخها ودعواته[2].

زاوية شيخ أبي هادي مصباح:

وهي زاوية تقع في مدينة قسنطينة مؤسسها الفقيه شيخ أبي هادي مصباح بن سعيد الصنهاجي، يقال أنه من أصبحت شيخ يوسف بن يعقوب البويوسفي، توفي بمدينة قسنطينة ودفن بزاويته المعروفة باسمه[3].

زاوية ابن نعمون:

تقع قسنطينة وهي معروفة باسم الزاوية التيجانية في الشط وتقام فيها الصلوات الخمسة ودروس العلمية[4]، سميت نسبة إلى أبي عبد الله نعمون الذي كان له شهرة كبيرة في مدينة قسنطينة ونسبة إلى مدافن آل نعمون في هذه الزاوية[5].

زاوية تاوزي:

يوجد بمدينة قسنطينة زاويتان من زوايا الرحمانية تقام فيهما الصلوات الخمسة والدروس الدينية وتعليم القرآن للأطفال مؤسسها عبد الرحمن بن أحمد بن حمودة بن مامش المعروف بباش التازي منشأ قسنطيني المتوفي بقسنطينة في حدود عام 1221هـ المدفون بزاويته.

---

[1]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، بحوث في تاريخ المغرب الأوسط ، ص70- 71.

[2]- نفسه، ص71.

[3]- ابن قنفذ ،المرجع السبق، ص49- 52.

[4]- محمد مهدي بن علي شغيب، أم الحواضر في الماضي وحاضر (تاريخ مدينة قسنطينة)،، ت: سفيان عبد اللطيف، دار الروح للنشر والتوزيع، ج2، ط1، الجزائر، 2015، ص35.

[5]- عبد الكريم فكون، المصدر السابق، ص80

زاوية فقون:

توجد بمدينة قسنطينة وترعف أيضا بزاوية الفوقانية سميت بزاوية الفقون لان بها قبر العلامة الشيخ عبد الكريم الففقون من مشاهير علماء قسنطينة[1].

3-الكتاتيب:

لغة: عرفها ابن منظور "المكتب موضع الكتاب وجمع الكتاتيب والمكاتب"، وقال المبرد المكتب معلم والكتاب صبيان.

وقال "البستاني" الكتاب جمع الكاتب وموضع التعليم، وجمع كتاتيب والمكتب وضع التعليم وجمعها مكاتب[2].

اصطلاحا: وهي بمثابة المدرسة الابتدائية يتعلم فيها الأطفال القراءة والكتابة، ويرتلون السور القرآنية، ويكتبونها على ألواح كمرحلة أولى لحفظ القرآن الكامل، كما أفتى العلماء بمنع تعليم الأطفال في المساجد لانهم يسببون مشاغبات، قد تأدي بهم إلى عقوبات من طرف المعلم، وقد كان المعلم في العهد الحفصي يلتقي أجرة شهرية على كل صبي، وكانت هذه الكتاتيب إما تعود للملكيات خاصة أو تكون مدعمة من قبل الأوقاف، للخزينة العامة، كما كانت توجد بالقصر السلطاني كتاتيب خاصة بأطفال بعض رجال الدولة[3]، كما كان التعليم القرآن في الكتاب للصبيان بأرض المغرب هذا كان يدرس بألواح[4].

[1]- محمد مهدي بن علي شغيب، المرجع السابق، ص36.

[2]- بشير رمضان التليسي، الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي (خلال القرن 4هـ 10م)، دار المدار الإسلامي، ط1، لبنان، 2003، ص364.

[3]- أمينة سليمة ومباركة قالم، المرجع السابق، ص38- 39.

[4]- عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار العلامة، ج2، ب ط، الجزائر، 2010، ص21.

أما في العهد الموحدي فقد قام عبد المؤمن بنشر مبادئ الموحدين على أوسع مدة فعمم تعليم الكتاتيب في جميع مملكته الكبيرة، وجعل التعليم إجباريا مجانيا بل ربما كان أول ملك فعل هذا الصنيع في العصور الوسطى[1].

فقد كانت الكتاتيب النواة الأولى للحركة التعليمية بمدينة قسنطينة، ومنها انطلقت المدارس وتطورت، والكتاتيب نوعين عامة وخاصة ولم تحفظ لنا المصادر أسماء الكتاتيب التي كانت منتشرة[2].

4-المدارس:

لغة:

درس الشيء ويدرس دروسا قبل درست قرأت، ودارست ذاكرت، ودرست السورة حفظتها.

والمدارس ومدرس: الموضع الي يدرس فيه أو المدرس: الكتاب[3].

اصطلاحا:

وهي مؤسسة علمية قائمة بذاتها تلقى فيها مختلف العلوم والدروس[4].

أو هي بناية عمومية تنحصر مهمتها في القيام بوظيفة واحدة وهي التعليم دون غيرها[5].

---

[1]- عبد الله علي علام، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، عاصمة الثقافة العربية، د.ط، الجزائر، 2007، ص291.

[2]- بوجلال نصيرة، بوجلال نصيرة، البتوتات العلمية في مدينة قسنطينة ما بين القرنين 7-10هـ/ 13- 16م، تاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة 8 ماي 1945، الجزائر، س 2016- 2017م، ص50.

[3]- حاسي زهية، المدارس ودورها الفكري بالمغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع هجريين (14- 15م) ، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامع ابن خلدون، الجزائر، س2013/ 2014م، ص50.

[4]- مبارك بوطارن، العمارة الدينية في المغرب الأوسط، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، د.ط، الجزائر، 2011، ص243.

[5]- حسين أسكان، المرجع السابق، ص56.

ففي عهد الرسول ﷺ كان يتم التدريس في المسجد واستمر ذلك مدة الخلافة الراشدة، ثم صار بعض العلماء يلقون الدروس في بيوتهم، ولم تنشئ المدارس إلا في القرن 5هـ، فأنشأ نظام الملك السلجوقي مدرسة لتعليم العلوم الدينية والفلسفة والتاريخ والفلك والرياضيات وجعل التعليم فيها مجانيا، وبعدها أصبح التنافس كبيرا بين الخلفاء والسلاطين لإقامة مدارس مختلفة[1].

وأول نشأة للمدارس ببلاد المغرب كانت في منتصف الأول من القرن 7هـ/13م[2]، ويبدوا أن ظهور المدرسة بالمغرب كان من حسنات ما نقله الرحالة المغاربة الذين جابو المشرق وترددوا على معاهدها العلمية وأعجبوا بالمدارس النظامية وقد ربطت أغلب الدراسات بين ظهور المدرسة كمؤسسة وصراع بين السنة والشيعة[3]، إذ استخدمت المدارس لتثبيت الفكر السني والحفاظ عليه وتطويره وهكذا انتشرت المدارس في الشرق ثم انتقلت إلى المغرب[4].

ففي العهد الموحدي ظهرت مدارس التي بناها يعقوب يوسف الملقب بالمنصور في حدود سنة 593هـ/1196م في مدينة سلا شمال الجامع الأعظم، فمهدت هذه المدرسة لظهور أول مدرسة نظامية في بلاد الغرب التي أنشأها أبو زكريا يحيا الحفصي سنة 693هـ/ 12335م، عرفت باسم المدرسة الشماعية[5]، وسميت بهذا الاسم لأنها تقع في سوق الشماعين بالقرب من جامع الزيتونة[6].

---

[1]- طرشاوي بلحاج، العمارة الإسلامية (أصولها الفكرية ودلالاتها الثقافية والبيئية)، دار النشر الجامعي الجديد، ب ط، الجزائر، ص39.

[2]- عبد العزيز الفيلالي، المرجع السابق، ص141.

[3]- صالح بن قربة وآخرون، تاريخ الجزائر في عصر الوسيط من خلال المصادر، منشورات المركز الوطني، ب ط، الجزائر، 2007، ص135- 136.

[4]- صالح بن قربة وآخرون، المرجع السابق، ص136.

[5]- عباس قويدر، المؤسسات التعليمية في المغرب الأوسط، خلال القرنين (8هـ/ 14م)، دورية كان التاريخية، دار الناشري، الكويت، س2012م ، ص87.

[6]- روباربرنشفيك، المرجع السابق، ص382.

كما ذكر حسن الوزان في كتابه وصف إفريقيا أنه وجد بمدينة قسنطينة مدرستان[1].

وذكر ابن فكون مدرستنا هما مدرسة آفونس، عاش في القرن 10هـ/ 16م، ينتمي إلى عائلة مشتهرة بالعلم والتصوف.

ومدرسة الفكونيين تنسب هذه العائلة إلى أهم الأسر العلمية في مدينة قسنطينة، وهي عائلة الفكون، التي عكفت على الاهتمام بالتعليم، وقد جددوا بنائها وقاموا بتوسيعها وبناء قبتها ويعود أصلها إلى جد جد ابن فكون[2].

ومن هنا يمكن القول أن المدارس في قسنطينة كان لها دور كبير في نشر العلم والمعرفة رغم قلتها مما جعلها تترك أثر علمي وفكري كبير.

5-المكتبات:

الكاف والتاء والباء أصل صحيح واحد يدل على جمع شيء من ذلك الكتاب والكتابة وسميت المكتبة لأنها تضم الكتاب إلى الكتاب.

وعرفها المختصون بأنها: "مؤسسة ثقافية اجتماعية توجد في مجتمع من المجتمعات وتهدف لخدمة المجتمع عن طريق جميع المواد الثقافية التي تساعد ذلك المجتمع أفراد وجماعات على زيادة ثقافية وترقية حصيلته الحضارية[3].

كما كانت توجد بالمساجد مكتبات ساهمت في تقديم المادة العلمية للطلبة وعامة الناس وفي معظم الأوقات، بالمطالعة فيها داخل المساجد والجوامع أو بإعارتها للقراءة أو النسخ، وكانت

[1]- حسن الوزان، وصف إفريقيا، ت: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ج1، ط2، لبنان، س1983م، ص56.

[2]- بوجلال نصيرة، المرجع السابق، ص54- 55.

[3]- عماد محمد عبد الله يسري، تاريخ المكتبات، دار الوفاء للدنيا الطباعة والتنشر، ط1، اسكندرية، 2017، ص09.

تشمل القاعدة الخلفية التي يلتجئ إليها العلماء والطلبة للاستفادة والمداومة على طلب العلم[1].

وأقدم مكتبة أنشأت في العالم هي مكتبة البابليون سنة 1700 قبل الميلاد ومن بقايا هذه المكتبة عبارة عن قرميدات من طين المجفف عليها كتابات بالحرف الإسفيني[2].

وقد انقسمت المكتبات إلى قسمين:

مكتبات العامة: حرص الناس منذ القدم على الاحتفاظ بما دونوه من أخبارهم وأعمالهم وعلومهم لانهم دونوه رغبة في توثيقه والمحافظة عليه كما كانت هذه المكتبات تساعد في نشر الثقافة بما تحتويه من كتب قيمة في مختلف العلوم، وهي بذلك دليل واضح على مقدار تقدير الناس للعلم، فعني الخلفاء بجمع أكبر عدد من الكتب والحصول على أندر المؤلفات في جميع العلوم[3].

مكتبات خاصة: وهي المكتبات التي كونها المؤلفين أي تحتوي على مؤلفاتهم مثل مكتبة أبي محمد عبد الله بن قاسم مسرور التجيبي المعروف بابن الحجام[4].

كما زاد في إثراء المكتبات هجرة الأندلسيين إلى بلاد المغرب وإفريقية حاملين معهم مكاتبهم ومصنفاتهم.[5]

كما كانت توجد مكتبات في المساجد والزوايا والمدارس كنت تقوم بدور اجتماعي أهم لأنها كانت تساعد على نشر المعارف لدى جمهور أوسع، ففي أوائل القرن الرابع عشر كان يوجد عدد كبير من الكتب في زاوية بعيدة عن المدن الكبرى مثل زاوية أولاد سهيل الموجودة قرب

[1]– عبد الجليل قريان، التعليم بتلمسان في العهد الزياني، جسور للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2011، ص154.

[2]– جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، د.ط، ج3، القاهرة، 2012، ص237.

[3]– بشير رمضان التسيلي، المرجع السابق، ص407.

[4]– المرجعنفسه، ص410.

[5]– بوجلال نصيرة، المرجع السابق، ص57.

صرمان ففي بلاد الطرابلسية، وكذلك مدرسة المعرض التي أسسها أبو زكريا ابن أبي إسحاق زودها بكتب نفيسة في كل فن من فنون العلم[1].

وعليه يمكن القول أن المؤسسات التعليمية لعبت دورا كبيرا في مدينة قسنطينة فبفضلها زاد الازدهار العلمي وساهمت في إثراء الرصيد المعرفي، فقد قامت هذه المؤسسات بوظائف دينية واجتماعية.

ثانيا: مناهج التدريس:

كانت المناهج التعليمية ببلاد المغرب خلال العصر الوسيط متنوعة، فكانت تعتمد على الإملاء وإلقاء الشروح، مع عدم اللجوء إلى النقاش التحليل إلا في حالات نادرة وبالتالي فقد اعتمد التدريس على كتب المختصرات وتلخيصها مما أدى إلى استفحال الجمود الثقافي الفكري في بعض الأحيان وكذلك كانت تعتمد على طرق التدريس ولغة التدريس[2].

1-طرق التدريس:

الحفظ: فقد كانت الذاكرة تلعب دورا مهما في تحصيل العلم لأسباب تقنية عديدة لذا كانت الأدبيان التربوية تلح على الاهتمام بالحفظ فقد كان المتعلم منذ النعومة أظافره يبدأ بحفظ القرآن الكريم[3].

السماع: وهي من طرق التعليم المعول وتسمى أيضا الإملاء، حيث أن معلم الصبيان يجلس في وسط حلقته ؛ وهي وضعية تمكنه من الإشراف عليهم فيملي شيئا من القرآن الكريم فيقوم

[1]- روبار برشفيك، المرجع السابق، ص384.

[2]- أمينة سليمة صاري، مبارك قالم، المرجع السابق، ص40.

[3]- حسين أسكان، المرجع السابق، ص108.

الطلبة بتدوين ما يسمعونه دون نقاش أو تحليل[1].

القراءة: فالقراءة هي التي تستكمل وتبني الشخص وتأهله تأهيلا يستطيع معه أن يميز الأمور والحكم فيها، كما أن قراءة الكتب والمطالعة والتعمق في دراستها والبحث عن مخبآت الكتب تنتج نوابغ استوعبوا علوما جمة وفنونا عدة[2].

أما لغة التدريس فكانت اللغة العربية وما يتصل بها من خط نحو، واللغة الأساسية للتدريس، فهي لغة الدين الحنيف وأهم لغة للثقافة الإسلامية، فكانت أول لغة يدرس بها الصبي المسلم[3].

ويمر الطالب في المرحلة التعليمية بمرحلتين: المرحلة الأولى وجد فيها منهجا هددا يتمثل في حفظ القرآن الكريم وتعلم القراءة والكتابة ومعرفة شيء من اللغة العربية والشعر، فبعد انتهاء من هذه المرحلة ود نفسه مقيدا بتعليم مواد معينة[4].

أما المرحلة الثانية فيتلقى الطالب العلوم الدينية بشيء من التعمق والتوسع، وكذلك مختلف العلوم الاجتماعية، فكان الطلبة يتلقون علمهم في مدارس قسنطينة وفي المسجد الكبير والمسجد الأعظم بالقصبة[5].

أما مناهج التعليم فكانت تختلف حسب العلوم وحسب طريقة الأستاذ في تدريس فكان إلى جانب الطريقة القديمة، التي تجعل من الطالب وعاء يملؤه الأستاذ بالمعلومات الغزيرة في شتى العلوم، ومن دون أن يكون له مجال لطرح أسئلة أو مناقشة، وبعدها ظهرت طريقة

---

[1]– جعرون حليمة، حمادي شيماء، التعليم ومناهجه في المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط (الدولة الزيانيةأنموذجا)، تااريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، مسيلة، س2021م، ص42.

[2]– فهد بن صالح، قراءة القراءة، مكتبة ونشر العبيكان، ط2، الرياض، 2006، ص119.

[3]– بشير رمضان التليسي، المرجع السابق، ص384.

[4]– محمد عبد الحميد عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس، ت: عبد الغني عبود، دار الفكر العربي، ط1، 1982، ص280.

[5]– بوجلال نصيرة، المرجع السابق، ص58.

جديدة يقوم فيها الطالب بدور هام للوصول إلى المعرفة واستاذ يكون فقط مشرف على الأبحاث، فكانت الجهود التي يبذلها الطلبة للوصول إلى نتائج هي هدف الأستاذ بتطوير الطالب وتوطيده على الجدل[1].

وأهم المواد المدروسة في الكتاب في هذه المرحلة هي القرآن الكريم فقد جعلوه في مقدمة ما يتعلم الطفل حفظا وكتابة لان تعليم الطفل أشد رسوخا.[2]

ويبدوا أنه كان يوجد معلمين في هذه المرحلة: معلم ملقن وهو المكلف بتعليم القرآن وتحفيظه دون كتابة على الألواح.

أما الثاني هو المعلم المكتب المكلف بتعليم الصبيان الط ولا يعلم غيره فكان يرسم نموذجيا ويقلده الصبي[3].

أما مواد المدرسة ترتكز اساسا على القرآن الكريم والتفسير بالاعتماد على عدد من الكتب منها كتاب "أحكام القرآن" لأبي الحسن علي بن محمد الطبري[4].

أما عن المسجد فكانت الدراسة فيه تختلف عن التعليم في الكتاب: فكانت ترتكز على كتب التراجم تبين لنا أن المواد الدراسية المعروضة امام الطالب قد اتسعت لتشمل كل أنواع العلوم[5].

2- العلوم التي كانت تلقن للطلبة:

ومن هنا يمكن أن تستكشف أنواع العلوم التي كانت تلقن للطلبة.

---

[1]- عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني (حياته وآثاره)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ط، الجزائر، 1974، ص160- 161.

[2]- عبد العزيز فيبلالي، تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ص345.

[3]- المرجعنفسه، ص346.

[4]- أمينة سليمة صاري، مبارك قالم، المرجع السابق، ص40.

[5]- بشير رمضان تليسي، المرجع السابق، ص389.

الفقه الإسلامي:

تدرس فيه أمهات الكتب المالكية الموطأ للإمام مالك، والمدونة وتهذيب البراذعي، ومختصر الجلاب، وتلقين للقاضي عبد الوهاب، ورسالة ابن أبي الزيد، والتبصر للخمي.

التفسير: الكشاف الزمخشري: وتفسير الطبري والوجيز لابن عطية[1].

أصول الفقه: فكانوا يعتمدون على التدريس "الإرشاد" للإمام الحرمين أبي المعالي[2].

أما في علوم الحديث فكانوا يعتمدون التدريس "صحيح مسلم" و"صحيح البخاري" وكتاب "الجامع" وكتاب الموطأ للإمام مالك بن أنس، وكذلك كانوا يعتمدون على كتاب الشافعي ابن الصلاح و"سير" لابن إسحاق[3].

أما عن اللغة العربية فكانوا يعتمدون التدريس على كتب سبويه وكتاب "الجمل" للزجاجي، أو كتاب "المفصل" للزمخشري، أو بع الكتب الأخرى مثل "ديوان الحماسة" لأبي التمام[4].

اما في التصوف فأهم ما يدرس فيها: كتاب "رسالة في فضل مكة" لأبي سعيد الحسين بن أبي الحسن البصري، و"الرسالة" للإمام أبي قاسم عبد الله عبد الكريم بن هوزان القشري[5].

أما في الطب فكان يتداول بين الناس كتاب قانون لابن سينا وأرجوزته المشهورة في الطب.

وفي المنطق والفلسفة فكان يدرس عندهم طريقة الفرابي وابن سينا والفخر الرازي[6].

---

[1]– محمد بسكر، المرجع السابق، ص82.

[2]– روبار برنشفيك، المرجع السابق، ص382.

[3]– روباربرشفنيك، المرجع السابق، ص382.

[4]– نفسه، ص383.

[5]– أمينة سليمة صاري، مبارك قالم، المرجع السابق، ص42.

[6]– محمد بسكر، المرجع نفسه ، م1، ص83.

ثالثا: العلوم النقلية و العقلية :

1-العلوم النقلية:

القرآن الكريم:

مرادف للقراءة ومنه قول الله تعالى: "**إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18)**" [1].

تم نقل هذا المعنى وسمي به الكلام المعجز المنزل على الرسول عليه الصلاة والسلام، ويقال له الفرقان أيضا باعتبار أن كلام الله فارق بين الحق والباطل، أو مفروق بعضه عن بعض في نزوله، قال الله تعالى: "**تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا(1)**" [2]، وللقرآن أسماء أخرى[3].

وهو كلام الله عز وجل المنزل على النبي[4] عليه أفضل الصلاة والسلام بالتواتر وكتب في المصاحف وتأتي إضافة "علم" إلى لفظ القرآن فيتكون منها مصطلح علوم القرآن.[5]

وينقسم القرآن إلى علم التفسير وعلم القراءات:

[1]-سورة القيامة الآية 17-18.

[2]- سورة الفرقان، الآية 1.

[3]- مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، علوم القرآن تاريخه وتصنيف وأنواعه، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد1، ربيع الثاني، 14227هـ، ص80.

[4]- محمد محاسنة، الحضارة الإسلامية، مركز يزيد للنشر، ط1، الأردن، س2005م، ص231.

[5]- مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، علوم القرآن تاريخه وتصنيف أنواعه، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد1، ربيع الثاني، 14227هـ، ص80.

علم القراءات:

لغة: هي جمع قراءة، وهي في اللغة مصدر قرأ يقرأ، يقال قرأ، يقرأ قراءة وقرآن، بمعنى تلا فهو قارئ والقرآن متلو أما علم القراءات "فهو العلم الذي يعني بكيفية أداء كلمات القرآن الكريم واختلافها معزوا إلى ناقله" وقال بعض العلماء: بأن القراءات علم بكيفيات أداء كلمات القرآن الكريم من تخفيف وتشديد واختلاف ألفاظ الوحي في الحروف[1].

وهو من بين العلوم الدينية التي لقيت اهتماما من قبل المسلمين فهو أول محاولة في تفسير القرآن الكريم قد اتخذ الموحدون القرآن الكريم دستورا لهم ونبراسا يهتدون به، ويروى أن الإمام ابن تومرت سن له نظاما وهو قراءة حزب من المصحف الشريف كل يوم عقب صلاتي الصبح والمغرب ومن عناية الموحدين بهذا العلم أن خليفتهم يوسف بن عبد المؤمن نال حظا وافرا منه وكان من أحسن الناس نطقا بالقرآن الكريم[2].

وفي مدينة قسنطينة ذكر الشمني مروياته التي درسها عن شيوخه في علم القراءات ومن بينها كتاب التفسير لابي عمور الداني، أخذه قراءة عن الشيخ أبي محمد عبد الله الوهاب بن محمد بن عبد الرحمن القروي الاسكندري، كتاب الهداية للشيخ أحمد بن عمار أبي العباس المهداوي أخذه سماعا للشيخ السن السويداوي، الدرر اللوامع في قراءة الإمام نافع لأبي الحسن بن بري، قراءة على الشيخ محمد بن محمد بن أحمد غوسي السلاوي[3].

علم التفسير: هو علم يقصد به فهم كتاب الله عز وجل المنزل على نبيه محمد عليه الصلاة والسلام وتبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه[4]. وكان بعض الأتقياء في صدر الإسلام

[1]– محمد أحمد مفلح القضاة وآخرون، مقدمات في علم القراءات، دار عماد، ط1، الأردن س2001م، ص47.

[2]– صالح بن قربة، عبد المؤمن بن علي موحد بلاد المغرب، موقع للنشر، الجزائر، س2011م، ص98– 99.

[3]– محمد بسكر، المرجع السابق، ص180.

[4]– بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ت: أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث، د.ط، القاهرة، س2006م، ص22.

يتحرجون عن التفسير خشية الوقوع في الخطأ وعدم إصابة الهدف فيما أراد الله تعالى، غير أنه أصبح ضرورة دينية بعد اتساع رقعة الإسلام، ورغم أن الموحدين اعتنق أوائلهم ولا سيما عبد المؤمن فكرة المهدوية الشيعية فإن ذلك لم يخرجهم من أثير الجو السني وفقههم سني سلفي مقتبس من مذهب سيدنا انس بن مالك رضي الله عنه، وهم يسيرون على القرآن الكريم وتفسيره المأثور ومن هنا لم نر تفسيرا موحديا واحدا ينتحي ناحية المذهب التأويلي الشيعي[1].

علم الحديث:

لعلم الحديث مكانة لدى المسلمين فهو يأتي بعد القرآن الكريم مباشرة وعلم الحديث أو السنة هو ما ورد عن الرسول عليه الصلاة والسلام من قول أو فعل أو تقرير لبعض الأحكام، إذ جاءت مجملة في القرآن وبينها الرسول ﷺ،[2] وفي علوم الحديث كان التدريس يعتمد خاصة على خمس أو ست دواوين معروفة على رأسها صحيح مسلم وصحيح البخاري وكتاب الجامع للنسائي وغيرها، بالإضافة إلى الموطأ للإمام مالك بن أنس باعتباره أساس المذهب المالكي، وذلك بالاعتماد في تدريسه على كتاب التمهيد والاستنكار لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، وكتاب المنتقى للقاضي أبي الوليد سليمان الباجي بالإضافة إلى تدريس كتاب المختار في الجمع بين المنتقى والاستنكار للفقيه أبي عبد الله محمد بن عبد الحق التلمساني[3].

[1]– عبد الله علي علام، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، وزارة الثقافة، الجزائر، س2007م، ص297.

[2]– محمد محاسنة، المرجع السابق، ص231.

[3]– حساني مختار، المرجع السابق، ص219.

وقد عنى الموحدون بالحديث الشريف عناية فائقة فكان إمامهم المهدي بن تومرت محدثا حافظا والأخذ الأحاديث وجمعها من موطأ الإمام مالك رضي الله عنه وجردها من الأسانيد وجعلها فقها سار عليه الموحدون[1].

واشتهر عهد عبد المؤمن بطائفة من المحدثين منهم:

القاضي عياض بن موسى البحصي السبتي وكان العياض من أكابر الحفاظ ومن أقدر أئمة عصره على تمييز صحيح الأحاديث من منتحلها وكان بارعا في أصلو الفقه وعلم الكلام.

محمد بن عبد الله بن أحمد بن مسعود بن صعنون برع في الحديث واشتهر بالحفظ والضبط وبرع في الفقه أيضا.

يوسف بن عبد العزيز بن غيرة المعروف بالدباغ نبغ في الحديث والرواية وألف في الحديث عدة مصنفات منها كتاب طبقات المحدثين[2].

اشتهر من علماء قسنطينة برواية الحديث والتصنيف فيه حسن بن خلف الله بن حسن بن أبي القاسم بن أبي القاسم بن باديس القيسي روى عنه بن قنفذ، والشيخ حسن بن علي بن ميمون، ذكره ابن قنفذ في كتابه الوفيات فقال: "عمدة درسه ببلده قسنطينة الحديث ومن طرقه فيه روايته عن أبي يعقوب العماري عن أبي علي السخاوي عن أبي الطاهر بن عوف، عن الأستاذ أبي بكر الطرطوشي ع القاضي أبي الوليد الباجي عن أشياخه بسنده"[3].

[1]- عبد الله علام، المرجع السابق، ص301.

[2]- نفسه، ص301.

[3]- محمد بسكر، المرجع السابق، ص106.

الفقه:

هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين وهي متلقاة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة[1]، فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه[2].

أما الفقيه فأصل اللفظ مأخوذ من فقه بمعنى علم أو فطن وهو من ألقاب العلماء ويقع على المجتهد دون المقلد إذا صار الفقه سجيه[3]، وفي مدينة قسنطينة ألف بن قنفذ أعمالا من بينها شرح رسالة أبي زيد القيرواني، المتعددة الأجزاء وشرحه على أصلي ابن الحاجب، وله شرح على تلخيص ابن البنا، وشرح القاضي محمد الزلديوي القسنطيني التونسي مختصر ابن عرفة، وقد تولى الزلديوي القضاء في قسنطينة مدة 17 سنة، كما تولى قضاء بجة وتولى التدريس في مدارس تونس وتوفي عام 874هـ[4]، ومن فقهاءها أيضا مسن بن بلقاسم بن باديس أبو علي التقي به العبدري وذكره في رحلته فقال: "شيخ من أهل العلم يذكر فقها ومسائل، ذا سمت وهيئة ووقار"[5].

ومن أبرز الكتب المدرسة في الفقه نجد كتاب التفريغ لأبي القاسم عبد الله مسين بن الحسن بن الجلاب البصري، وكتاب "التلقين" لعبد الوهاب، وكتاب "مختصر ابن الحاجب" وإلى جانب هذه الكتب نجد المدونة للإمام سحنون بن سعيد التنوخي يستعين الطلبة في شرحها بكتب منها كتاب التهذيب لأبي سعيد البراذعي[6].

---

[1]- حساني مختار، المرجع السابق، ص18.

[2]- عبد الرحمن ابن خلدون، تاريخ العلامة ابن خلدون، ت.ق: عبد الهادي بن منصور وآخرون، موقع للنشر، ج3، د.ط، س1995م، ص37.

[3]- مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، س1996م، ص339.

[4]- مصطفى بن الحسان، المرجع السابق، ص90.

[5]- محمد بسكر، المرجع السابق، ص86.

[6]- حساني مختار، المرجع نفسه، ص219- 220.

التصوف:

مأخوذ من الصفاء والصفاء هو خلوص الباطن من الشهوات والكدرات وعلم التصوف يهتم بصفاء الشهوات والحسد والكبر والغرور وسوء الظن بالناس[1]، كما يقصد به الإعراض عن الدنيا وزينتها والانقطاع إلى الله تعالى والعكوف على العبادة، وقد أطلق على المتعبدين الزهاد ألقابا عديدة مثل الجوعية والسياحين والغرباء والنورية[2]، وتضمن القرآن الكريم العديد من الآيات التي أشارت إلى الإعراض عن الدنيا والإقبال على الآخرة منها قوله تبارك وتعالى: "**اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ**"، (سورة الحديد الآية: 20) وقوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (9)**" [3].

ومن الأحاديث النبوية: قول النبي عليه الصلاة والسلام: "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك"[4].

من الاوائل الذين نشروا التصوف في الجزائر الشيخ السلام التونسي أبو مدين الغوث، عبد الرحمن الثعالبي، وأحمد بن عبد الله الزواوي، ابراهيم التازي، الإمام السنوسي، ابن زكري أحمد زروق، أحمد بن يوسف الملياني، وغيرهم[5].

---

[1]– عبده غالب أحمد عيسى، مفهوم التصوف، دار الجيل، ط1، بيروت، س1992م، ص11.

[2]– الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجريين/ 12 و13 الميلاديين، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، عين مليلة، ص34– 35.

[3]– سورة المنافقون، الآية 9.

[4]– عفاف مصباح بلق، التصوف الإسلامي، كلية الشريعة والقانون العجيلات، جامعة الزاوية، مجلة كليات التربية، العدد14، س2019م، ص201– 202.

[5]– عبد المنعم القاسمي الحسني، إعلام التصوف في الجزائر، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، س1427هـ، ص26.

أما في مدينة قسنطينة انفتح مجال التصوف على زاوية عباد واعتنقت طريقتها عن طريق يعقوب بن عمران البويوسفي (717- 1317) الذي تتلمذ على يد الشيخ مسعود بن عريف أما أصحاب القطب أبي مدين 594هـ فتأثر به الملاري تأثرا كبيرا لدرجة أن الشيخ مسعود ورث له الطريقة المدينية ونصحه ببناء منارة للإشعاع الصوفي السني، والظاهر أن طريقة أبي مدين شعيب الغوث وطقوسه في مجال التصوف السني قد عرفها شيوخ وطلاب وصلحاء مدينة قسنطينة وتتلمذ هؤلاء الشيوخ على يده مباشرة او عن طريق تلاميذه.

ويرى أبو مدين شعيب أن التصوف ليس بالرهبانية ولا بلبس الصوف وإنما يكون بالصبر على الاوامر واليقين والهداية، وقد التزم يعقوب الملاري شيخ الزاوية الملارية بهذه المبادئ والأفكار حتى أصبحت لزاوية ملارة وشيخها تأثير روحي كبير في قسنطينة فصارت قبلة يلجؤون إليها وقت الشدائد ويحتمون بشيخها وببركاته ودعواته.[1]

ومن زوايا قسنطينة أيضا زاوية الشيخ أبو هادي مصباح الصنهاجي أحد تلامذة الشيخ الملاري.[2]

من أعلام التصوف محمد بن أبي محمد عبد الله الصفار 749هـ/ 1348م المدفون في المسجد الذي ينسب إليه، وكان يؤم الناس فيه داخل باب القنطرة بقسنطينة، اشتهر بسعة علمه ونفاذ قريحته، ويعد من أحد تلامذة الشيخ الملاري.[3]

[1]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط، ص69- 70.

[2]- حساني مختار، المرجع، ص124.

[3]- محمد بسكر، المرجع السابق، ص125.

أحمد بن الحسين القسنطيني "ابن قنفذ":

من علماء حاضرة قسنطينة وأعيانها على عهد الدولة الحفصية التي كانت قائمة في تونس وقسنطينة منذ أن حلت محل الدولة الموحدية وهو من كبار رجال الطريقة المدينية بالشرق الجزائري وقد مال غي آخر حياته إلى التصوف والزهد الذي عبر عنه في أبيات كثيرة منها:

مَضَتْ السِتُونَ مِـن وُجُودِي وَما أمسَكَت عْنِ لَعِب ولَهوِ

فَكَم لِابنِ الخَطِيبِ مِن الخَطَايَا وَفَضـلُ اللهِ يَشمُـلُهَ بِعفَـوِ

وقد ألف كتابا حول الشيخ أبو مدين الغوث وتلامذته وهو أسر الفقير وعز الحقير ذكر فيه حياة هذا الشيخ وكرامته وترجم لأصحابه الذين نشروا مذهبه.[1]

وقد اشتهر بالتصوف خلال القرن الثامن الشيخ أبو الحسن بن أبي القاسم بن باديس صاحب قصيدة النفحات القدسية وكتبها تأثرا بكتاب روض الناظر في مناقب الشيخ عبد القادر.[2]

الشعر:

من بين الشعراء الذين لمع نجمهم الشيخ الكاتب الاديب البارع أبو علي الحسن بن الفكون وهو من بين الأدباء الذين نستظرف أخبارهم وترفق أشعارهم غزير النظم والنثر رحل إلى مراكش وامتدح خليفة بني عبد المؤمن، وله رحلة نظمها في سفرته من قسنطينة إلى مراكش، ووافق في مقامه بمراكش طلوع الخليف لزيارة قبر الإمام المهدي فنظم في ذلك وله ديوان شعر وهو موجود بين أيدي الناس ومحبوب عندهم، وأصله من قسنطينة، ومن شعراءها أيضا الشاعر القسنطيني أحمد الخلوف كان من كبار الشعراء الرحالين في القرن التاسع[3]،

[1]– عبد المنعم القاسمي الحسني، المرجع السابق، ص74– 75.

[2]– محمد بسكر، المرجع السابق، ص127– 128.

[3]– أبو العباس الغبريني، أحمد بن أحمد بن عبد الله، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، ت: عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط2، بيروت، س1979م، ص334.

وهو شاعر له شخصية متميزة ويرجع نسبه إلى بلدان المغرب الثلاثة فهو الفاسي الأصل القسنطيني المولد التونسي الدار، تميز في الأدب والشعر، ومن أعماله نظم مغني اللبيب والتلخيص وغيرهما وله قصيدة ميمية شرحها بنفسه، كما ألف كتابا في ميزان الشعر سماه "تحرير الأوزان" اما المدائح جمع بين النبوية والسلطانية[1].

ومن بين العلماء الذين نسبوا إلى قسنطينة أيضا عب دالله بن محمد العكار بديع الدين أبو محمود القسنطيني النحوي وله قصيدة ذكرت في الطبقات الكبرى[2].

2-العلوم العقلية:

علم الفلك: سمي علم الفلك في القرون الوسطى باسماء مختلفة منها "علوم النجوم" و"صناعة النجوم" و"علم التنجيم" و"صناعة التنجيم، علم الهيئة" "علم هيئة الأفلاك"، وهو علم يرصد حركات الكواكب وامتزاجاتها[3]، ومن أئمة التنجيم في الدولة الموحدية المهدي بن تومرت نفسه فقد اختراه تلميذه عبد المؤمن بن علي واصطفاه من بين تلاميذه ليكون خليفته كبقا لنتائج علم التنجيم ومن علماء الفلك المشهورين في الدولة الموحدية، البرتاجي المراكشي الذي وضع رسالة عن الأجرام السماوية، وعبد الله بن محمد بن عبد الملك المالكي الفاسي[4]، ومن الانتاج العلمي في علم الفلك بمدينة قسنطينة.

---

[1]- مصطفى بن حسان، المرجع السابق، ص122.

[2]- حساني مختار، المرجع السابق، ص232.

[3]- سنيور كارلونلينيو، علم الفلك تاريخه عند العرب في القرون الوسطى، جامعة المصرية، روما، ص1911م، ص18-19.

[4]- صالح بن قربة، عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين، المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ط، الجزائر، س1991م، ص64.

شرح ابن قنفذ القسنطيني لأرجوزة أحكام النجوم لابن أبي الرجال التهرتي: الأرجوزة هي نظم في الفلك والتنجيم اشتملت على 467 بيتا موزونة على بحر الرجز قام بشرحها ابن قنفذ القسنطيني وسميت المنظومة الحسابية في القضايا النجومية وهو كتاب ما يزال مخطوط[1].

وقد ترك أحمد بن قنفذ القسنطيني كتب في علم الفلك وهي:

تيسير المطالب في تعديل الكواكب: موضوعه تعديل الكواكب وهو علم يعرف منه كيفية تفاوت الليل والنهار وتداخل الساعات فيهما في الصيف والشتاء.

شرح منظومة أبي السن علي بن أبي الرجال القيرواني: في الأحكام النجومية لذلك سميت المنظومة الحسابية في القضايا النجومية[2].

تحصيل المناقب وتكميل المآرب: وهو شرح لكتاب تسهيل المطالب في تعديل الكواكب.

سراج الثقات في علم الأوقات.

القنفذية في إبطال دلالة الفلكية[3].

التاريخ:

التاريخ هو تسجيل ووصف الحوادث التي طرأت على الأفراد والمجتمعات، ويذكر ابن خلدون في مقدمته "ان للتاريخ معنيين أحدهما ظاهر والآخر باطن فيقول: إذ هو في ظاهره لا يزيد على أخبار الأيام والدول، والسوابق من القرون الأولى... وفي باطنه نظر وتحقيق

[1]– تفاحة دري، علم الفلك في الغرب الإسلامي في العصر الوسيط ما بين القرن (5–9هـ/ 11– 15م) تاريخ العرب الإسلامي في العصر الوسيط، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، س2002م، ص46.

[2]– محمد قويسم، علم الرياضيات وعلم الفلك في مدينة قسنطينة، ق7– 10هـ/ 13–16م، الجزائر، الجلة التاريخية الجزائرية، العدد11، ص2019، ص115.

[3]– ابن قنفذ القسنطيني، مبادئ السالكين في شرح رجز ابن الياسمين، ت: يوسف قرقور، الأفاق الثقافة والتراث، الجزائر،ص174– 175.

وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفية والوقائع وأسبابها عميق[1]، وعالج التاريخ في مدينة قسنطينة عالمان وهما حسن بن أبي القاسم بن باديس وأحمد بن الخطيب الذي عرف بابن قنفذ، وقد وجد ابن باديس كتاب السير لأحمد بن فارس الرازي مختصرا فشرحه بشرح سماه "فرائد الدرر وفوائد الفكر في شرح المختصر" ولكنه توفي سنة 787 قبل أن يكمله وقد تناول في شرحه سيرة الرسول ﷺ وتاريخ الصحابة رضوان الله عليهم وقسمه إلى مسائل تناول في كل مسألة موضوعا من مختاراته.

إذا كان ابن باديس مقلا في آرائه التاريخية فإن ابن قنفذ كان مكثرا فقد تناول في كتاباته موضوعات محلية أو وطنية بلغة اليوم وليست عامة أو إسلامية[2] كما فعل ابن باديس، وهناك أعمال كثيرة ألفها ابن القنفذ في التاريخ والتراجع والانساب ومن بينها الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، الوفيات، وأنس الفقر وعز الحقير، وتحفة الوارد في النسب من قبل الوالد، طبقات قسنطينة، والمسافة السنية في الرحلة العبدرية وغيرها[3].

إن التاريخ لأمة أو لشعب أو لفترة معينة إنما يهدف إلى إظهار تطور الحركة التاريخية للأمم والشعوب وإظهار تطور الفكر السياسي والاجتماعي والاقتصادي والعلمي أيضا، وهو دراسة لمراحل النمو والانحطاط التي مرت بها تلك الشعوب وبمعنى آخر فإن أهداف التاريخ تكمن في العمل لمعرفة ماضي البشرية بإجابياتها وسلبياتها مع الرص على إحياء الإيجابيات وتسليط الأضواء على خفايا الحقب التاريخية والابتعاد عن السلبيات والاستفادة من التجارب السابقة[4].

---

[1]– مروى عصام صلاح، المرجع السابق، ص15.

[2]– أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، ط1، ج1، بيروت، س1998م، ص63.

[3]– نفسه، ص63.

[4]– حسان حلاق، مناهج الفكر والبحق التاريخي والعلوم المساعدة وتحقيق المخطوطات، دار النهضة العربية، د.ط، بيروت، س1425هـ/ 2004م، ص11.

الرياضيات:

مرفق مدينة قسنطينة خلال العصر الوسيط نهضة في مختلف العلوم من بينها الرياضيات إذ حفظت لنا المصادر الكثير من الأسماء والمؤلفات من بينهم:

وفي مجال الرياضيات قام ابن قنفذ القسنطيني بشرح أرجوزة ابن الياسمين في الجبر والمقابلة في كتاب أسماه "مبادئ السالكين في شرح أرجوزة ابن الياسمين في الجبر والمقابلة"، وهي أرجوزة هامة في تاريخ علم الرياضيات، إن أرجوزة ابن قنفذ في الجبر والمقابلة هي مذكرة للطالب لتسهيل حفظ أدوات الجبر وتعريف وترتيب المعادلات الست في الجبر مع إعطاء حلولها وبعض العمليات الحسابية حول الأشياء الجبرية[1]، وله في الحساب كتاب أسماه بغية الفارض في الحساب والفرائض أو بغية الفارض من الحساب والفرائض، وقام كذلك بتأليف كتاب حط النقاب عن وجوه أعمال الحساب، وهو من أهم مؤلفاته في الرياضيات وهو وسيلة لدراسة تاريخ الرياضيات لا سيما في الفترة الحفصية، قال عنه مؤلفه: "هو شرح على تلخيص ابن البناء المراكشي"[2].

ابن عزوز أبو القاسم الحاج القسنطيني: 755هـ- 1354م يعتبر هذا العالم من كبار الفقهاء البارزين في الفقه واللغة وهو من أهل قسنطينة وعلمائها وله مؤلفات عديدة في الفقه والفرائض ومن بينها "مختصر حسن الفرائض"[3].

أحمد بن يونس بن سعيد شهاب الدين القسنطيني: هو أحمد بن يونس بن سعيد بن سعيد بن عيسى بن عبد الرحمن بن يعلي بن دافع بن خطاب بن علي الحميري القسنطيني المغربي

[1]- بلعربي خالد، إضاءات حول تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط، النشر الجامعي الجديد، د.ط، الجزائر، س2020م، ص207- 208.

[2]- محمد قويسم، المرجع السابق، ص111.

[3]- بلعربي خالد، المرجع السابق، ص209.

المالكي، ولد بمدينة قسنطينة سنة 813هـ 1410م وصفه السخاوي بقوله بأنه إمام في الحساب لكنه توفي دون أن يترك مؤلفاته في علم الحساب[1].

الطب:

هو فن وعلم ورسالة نبيلة سامية تبحث في حفظ الصحة على الأصحاء واستردادها لهم في حالة أمراضهم، والطب فن يحتاج إلى ممارسة وعلم يتطلب دراسة، ورسالة يجب أن يقدمها حاملها إلى من يحتاج إليها مهما تكن الظروف دون قيود أو شروط تمس بمنزلة الطب ومكانته،[2] يقول الشيخ والطبيب أبو علي الحسين بن علي ابن سينا في كتابه القانون في الطب: "إن الطب علم يتعرف منه أحوال بدن الانسان من جهة ما يصح ويزول عن الصحة ليحفظ الصحة حاصلة ويستردها زائلة"[3]، عرفت مدينة قسنطينة تطورا كبيرا في مجال الطب وظهرت العديد من نوابغ في هذا المجال من بينهم:

أحمد بن يونس القسنطيني: تتلمذ عند عدد من الشيوخ في تونس من بينهم أبي القاسم البرزلي وقاسم ابزميري وابن مرزوق الحفيد التلمساني الذي كان أستاذا بتونس في علوم الدين واللغة والعلوم العقلية ويهمنا هنا أنه درس الطب وترجم له ابراهيم زعرور وعلي أحمد في معجم أطباء المغرب والأندلس خلال العصور الوسطى[4].

وقد ألف فقهاء في هذا المجال منهم الفقيه حسن بن علي وال ابن قنفذ القسنطيني الذي ألف كتاب "المسنون في أحكام الطاعون" وبن حاد الكومي (القرن الثامن هجري/ 14 م) والفقيه أبا حسن بن أبي الفضل القسنطيني 755هـ/1345م والفقيه أبو اسحاق ابراهيم بن أبي محمد

[1]– محمد قويسم، المرجع السابق، ص112.

[2]– عبد الله عبد الرزاق مسعود السعيد، الطب رائداته المسلمات، دار الشهاب، د.ط، الجزائر، ص31.

[3]– أبو علي الحسين بن علي بن سينا، القانون في الطب، ت: محمد أمين الفناوي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، س1999م، ص13.

[4]– مصطفى بن حسان، المرجع السابق، ص95.

عبد الكريم بن الكماد القسنطيني (منتصف القرن الثامن الهجري)[1]، وقد كان يتداول بين الناس كتاب القانون لابن سينا وأرجوزته المشهورة في الطب[2].

الجغرافيا:

أفاد الرحالة "ابن الجبير" الذي كان أحد الرحالين في عهد الموحدين في عهد عبد المؤمن ظهور أعظم جغرافي في العصور الوسطى من بين أبنائه وهو الشريف الإدريسي السبتي[3]، ولد الإدريسي بمدينة سبتة المغربية سنة 493هـ- 1100م، ولا يعلم شيء عن أحواله في تلك المدينة ولا نشأته فيها، ولا عن الشيوخ الذين تلقى عنهم، ولكن المعروف أنه رحل إلى قرطبة وتلقى العلم فيها حيث أنها كانت من أكبر مراكز الثقافة العربية الإسلامية[4].

بعدما اشتهر الإدريسي طلبه الملك روجار الثاني النورماندي ملك صقلية ولبى الإدريسي هذه الدعوة ولما لمس الملك غزارة معلومات الإدريسي كلفه بوضع مصور جغرافي للمعمورة، وكون لجنة كبيرة من جغرافيي صقلية لتكون في خدمته، فوجه الإدريسي كثيرا من أعضاء اللجنة لزيارة أماكن من العالم عينها لهم لجمع معلومات جغرافية، ووضع الملك تحت يد الإدريسي أربعمائة وخمسين رطل من الفضة ليضع له كرة يرسم عليها الإدريسي شكل القبة ثم ينقش المصورون هذا الرسم على الكرة الفضية من أشكال فلكية وما رسمه من معالم جغرافية بالمصور الجغرافي الذي وضعه للمعمورة من بلدان وبحار وجبال وأنهار.

---

[1]- حساني مختار، المرجع السابق، ص222.

[2]- محمد بسكر، المرجع السابق، ص83.

[3]- عبد الله علي علام، المرجع السابق، ص354- 355.

[4]-محمد عبد الغني حسن، سلسلة أعلام العرب (الشريف الإدريسي)، الهيئة العامة للتأليف والنشر، د.ط، مصر، س2003م، ص9.

واستغرق في هذا العمل حوالي خمس عشرة سنة وسمى كتابه الذي شرح فيه الكرة الفلكية والمصور الجغرافي نزهة المشتاق في اختراق الآفاق.[1]

[1]– عبد الله علي علام، المرجع السابق، ص355.

خاتمة

خاتمة:

لقد اغترفنا من ينابيع الحياة الفكرية والعلمية والثقافية لمدينة قسنطينة فدرسناها في مباحث وفصول لنستخلص جملة من النتائج والخلاصات وهي:

1- تعرفنا على أصل التسمية وتعدد أسماء مدينة قسنطينة وأيضا على موقعها الفلكي والجغرافي وأهم المحطات التاريخية التي ظهرت وخصصنا الحديث على الدولة الموحدية والدولة الحفصية التي تواجدت في تلك الحقبة الزمنية.

2- عاشت قسنطينة حياة فكرية وثقافية مزدهرة من خلال تشجيع الحكام لها واستقطاب العلماء من مختلف مناطق العالم الإسلامي فظهرت الرحلات العلمية التي زادت في الإنتاج المعرفي لتلك الفترات.

3- اشتهرت مدينة قسنطينة بتعدد مراكزها التعليمية فأسهمت في تنشيط الحركة العلمية ومنها المسجد الكبير، الزاوية الغنون الرباط، والكتاتيب، كما اعتمدت المؤسسات التعليمية في مدينة قسنطينة على منهج يعتمد على الحفظ القرآن الكريم قراءة وتعليم اللغة العربية.

4- تميزت مدينة قسنطينة أنها كانت ملتقى القوافل التجارية القادمين من بلاد المشرق والحواضر المجاورة لها كتونس وبجاية وتلمسان والأندلس فكانت محور التقاء طرق الحجاج، فذلك ساهم بدوره بما يسمى بتبادل الثقافي أولد التفاعل الكبير في شتى المجالات العلمية.

كما تطرقنا للعلوم العقلية والنقلية التي كانت متداولة في التدريس منها:

العلوم النقلية تشمل الجانب الديني كمثل القرآن الكريم، الفقه والحديث، أما العلوم العقلية هي التي تطرقنا فيها للتاريخ، الفيزياء والطب...

عرفت مدينة قسنطينة أسر علمية عريقة اشتهرت بثورات المناصل العلمية والسياسية ومكانة المرموقة وتنافس فيما بينهم لحمل مشعل العلم والمعرفة فساهموا في الحركة الفكرية لعدة قرون نذكر منهم:

الملاري، ابن قنفذ، ابن فكون، من أبرز العلماء الذين ساهموا في تنوع الزاد المعرفي والعلمي.

والذين أزهروا عقول الناس بمؤلفاتهم ورواياتهم التي اشتملت جميع المجالات التي توارثناها ليومنا هذا.

وفي الأخير نعتذر على كل نقص أو خطأ بدر منا لنداركه في القريب العاجل.

الملاحق

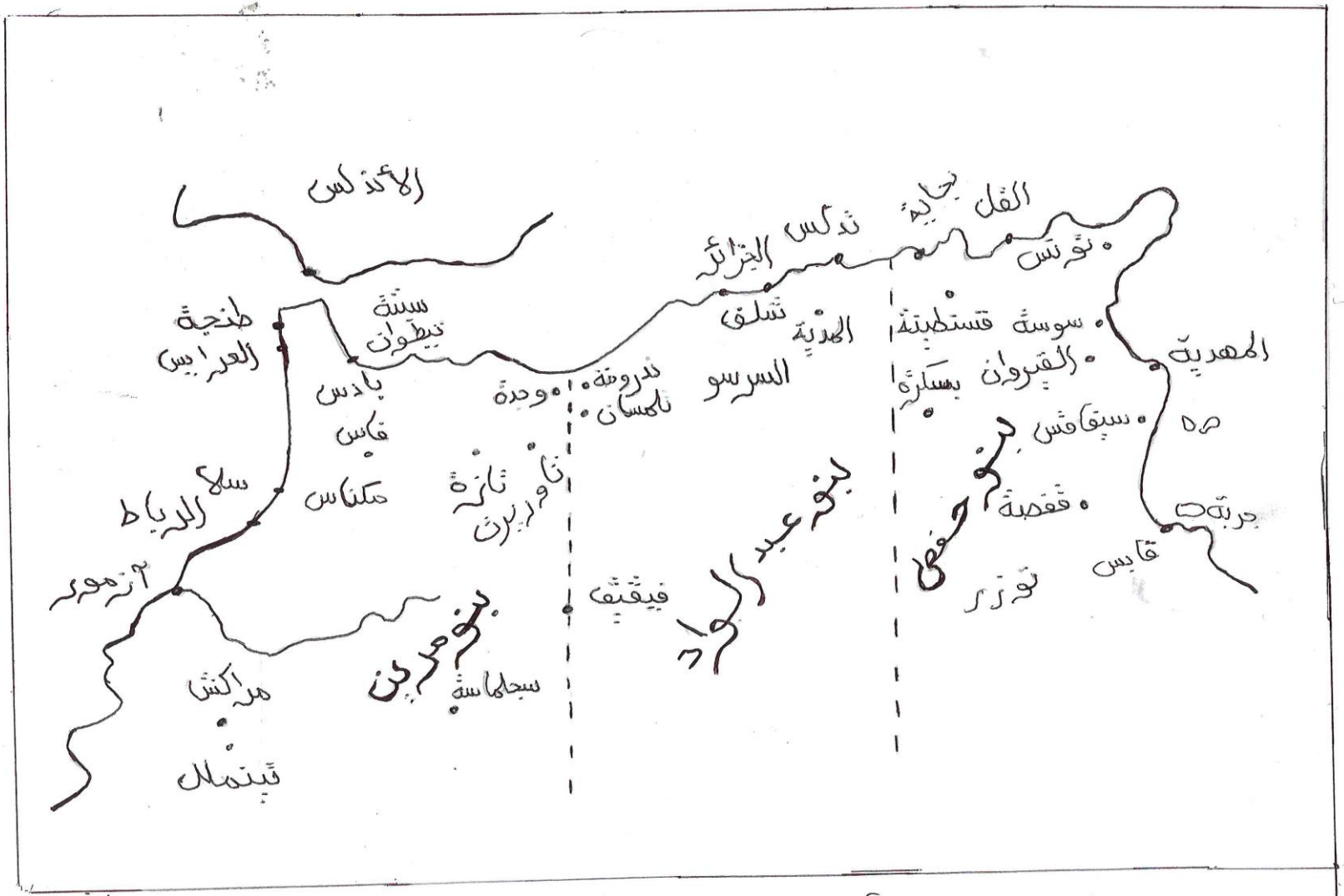

خريطة المغرب الإسلامي منذ القرن السابع الهجري الى أواسط العاشر

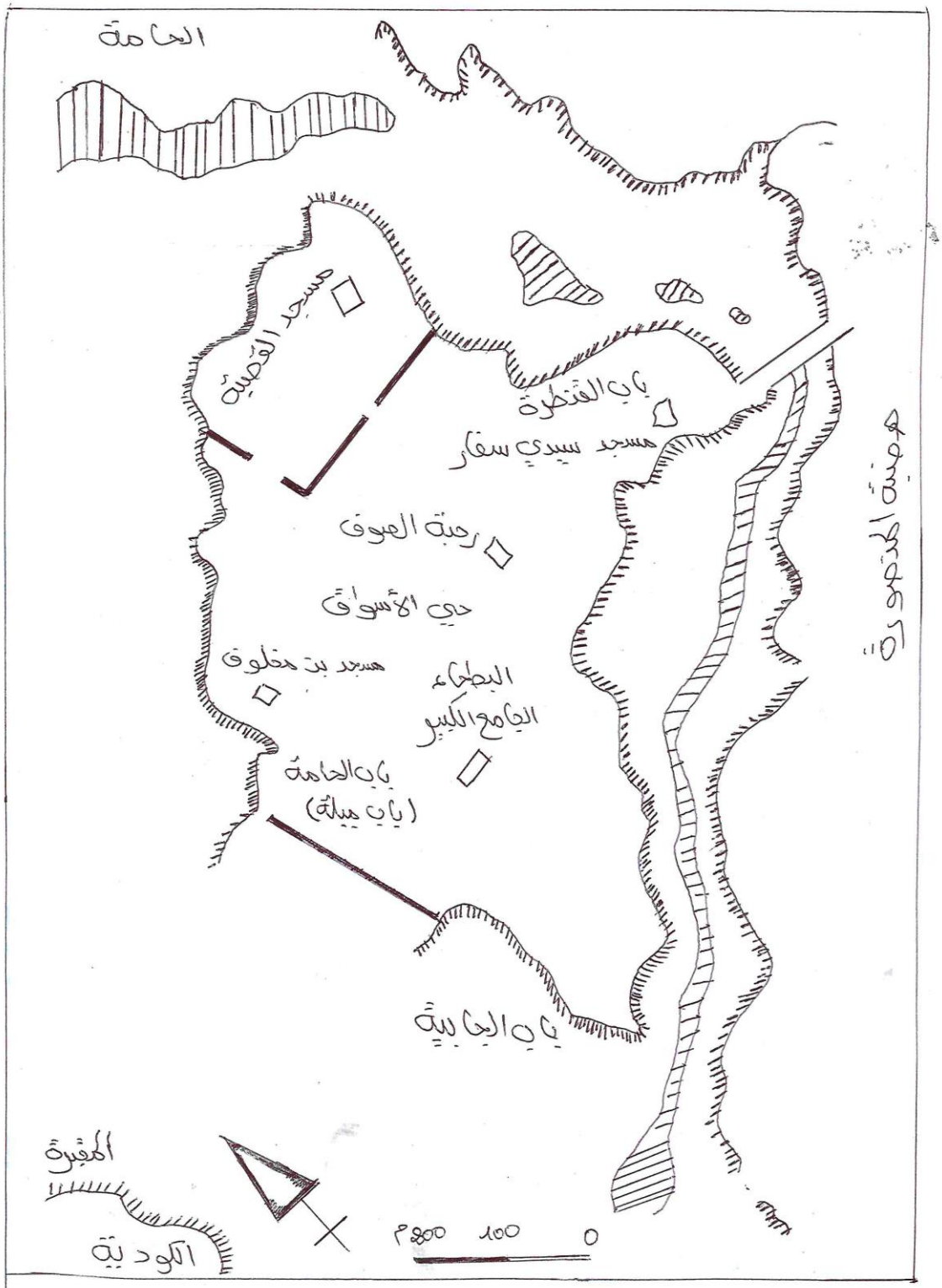

مخطط مدينة قسنطينة خلال العهد الحفصي

تفاصيل معمارية وزخرفية لمسجد الجامع الكبير[1]

[1]– عزي بوخالفة، المرجع السابق، ص41.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

القرآن الكريم برواية حفص.

1. الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني الشريف ، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مكتبة الثقافة الدينية، م1، ب.ط، القاهرة، س2002.
2. ابن الأنباري أبو البركات ، البيان في غريب إعراق القرآن، ت: طه عبد الحميد طه، انتشارات الهجرة، ج2، ، إيران، 1403هـ.
3. البكري أبو عبد ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب (المسالك والممالك)، مكتبة المثنى، د.ط، بغداد.
4. ابن حوقل أبي القاسم بن حوقل النصيبي، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، ب.ط، لبنان، س1992.
5. ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ت.ق: عبد الهادي بن منصور وآخرون، موقع للنشر، ج3، ب.ط، س1995م.
6. ابن أبي دينار، أبو عبد الله الشيخ محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني ، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية، ط1، تونس، س1986م.
7. الزرقاني، الشيخ محمد عبد العظيم ، مناهل العرفان في علوم القرآن، ت: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، ج1، ط1، بيروت، س1995م
8. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله ، البرهان في علوم القرآن، ت: أبو الفضل الدمياطي، دار الحديث، د.ط، القاهرة، س2006م.
9. الزركشي، أبو عبد الله محمد بن براهيم ، تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية، ت: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، 1966.
10. بن سينا، أبو علي الحسين بن علي، القانون في الطب، ت: محمد أمين الفناوي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، س1999م.

11. بن شماع، أبو عبد الله محمد بن أحمد ، الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، طاهر بن محمد المعموري، دار العربية للكتاب، د.ط، 1984.
12. العبدري، أبو عبد الله محمد البلنسي، الرحلة المغربية، ت: سعد بوقلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، ط1، الجزائر، س2017م.
13. الغبريني، أبو العباس ، أحمد بن أحمد بن عبد الله، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، ت: عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط2، بيروت، س1979م.
14. ابن قنفذ القسنطيني، أبو عباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب، الوفيات، ت: عادل نويهض، دار الأفاق الجديدة، ط4، بيروت، س1983م.
15. ـــــــــــــ، مبادئ السالكين في شرح رجز ابن الياسمين، ت: يوسف قرقور، الأفاق الثقافة والتراث، الجزائر.
16. ـــــــــــــ، ت محمد شاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، دار التونسية للنشر ، د.ط، 1968.
17. ـــــــــــــ، وسيلة الإسلام بالنبي عليه الصلاة والسلام، ت: سليمان الصيد، دار الغرب الإسلامي، ب.ط.
18. ـــــــــــــ، أنس الفقير وعز الحقير، ت: محمد الفارسي أدولف فور، المركز الجامعي لبحث العلمي، ب ط، الرباط.
19. محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ت: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط1، بيروت، س1975م...
20. هيرودوت، تاريخ هيرودوت، المجتمع الثقافي، ت: عبد الإله ملاح، د. ط، الإمارات العربية المتحدة، 2001م.
21. الوزان، أبو علي الحسن ، وصف إفريقيا، ت: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ج1، ط2، س1983م.
22. ياقوت حموي، معجم البلدان، ت محمد أمين خانجي وآخرون، دار السعادة، ط1، مصر، س1906م.

المراجع:

23. منتهل (مقروس جهيدة)، حاضرة كرتا النوميدية والرومانية، دار الهدى، د ط، الجزائر، س2011 م.
24. الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجريين/ 12 و13 الميلاديين، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، عين مليلة.
25. أمينة سليمة صاري، ومباركة قالم، أحمد بن قنفذ القسنطيني حياته وأثاره، عالم المعرفة، د.ط، الجزائر، س2015م،.
26. بشير رمضان التليسي، الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي (خلال القرن 4هـ 10م)، دار المدار الإسلامي، ط1، لبنان، 2003.
27. جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، د.ط، ج3، القاهرة، 2012.
28. جمانة البخاري، التعليم عند الغزالي، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، الجزائر، 1991.
29. حسان حلاق، مناهج الفكر والبحق التاريخي والعلوم المساعدة وتحقيق المخطوطات، دار النهضة العربية، د.ط، بيروت، س1425هـ/ 2004م.
30. حساني مختار، الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية، دار الهدى، ج1، د ط، الجزائر، 2011.
31. حساني مختار، تاريخ الجزائر الوسيط، دار الهدى للنشر والتوزيع، ج4، د.ط، س 2013 م.
32. حسين أسكان، تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط، المعهد الملكي للثقافة أمازيغية، د ط، رباط، س2004م.
33. حسين مؤنس، المساجد، عالم المعرفة، د.ط، الكويت، س1981.
34. رشيد بوروبية، الدولة الحمادية وحضارتهم المركز الوطني للدراسات الجامعية، د ط، الجزائر، س1977م.

35. روباربرنشفيك، تاريخ الإفريقية في العهد الحفصي (من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م)، دار الغرب الإسلامي، ج2، ط1، لبنان، 1988.
36. سعاد فريال، المساجد، الأثرية لمدينة الجزائر، دار المعرفة، د.ط، الجزائر، س2010.
37. سنيور كارلونلينيو، علم الفلك تاريخه عند العرب في القرون الوسطى، جامعة المصرية، روما، ص1911م صالح بن قربة، عبد المؤمن بن علي موحد بلاد المغرب، موقع للنشر، الجزائر، س2011م.
38. صالح بن قربة، عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين، المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ط، الجزائر، س1991م.
39. صالح بن قرية وآخرون، تاريخ الجزائر في عصر الوسيط من خلال المصادر، منشورات المركز الوطني، ب ط، الجزائر، 2007.
40. طرشاوي بلحاج، العمارة الإسلامية (أصولها الفكرية ودلالاتها الثقافية والبيئية)، دار النشر الجامعي الجديد، ب ط، الجزائِر.
41. عادل نويهض، الأعمال الخاصة بالجزائر(معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، دار الأبحاث ج1، ط1، الجزائر، س2013، ص396.
42. عبد الجليل قريان، التعليم بتلمسان في العهد الزياني، جسور للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2011.
43. عبد الكريم فكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، ت: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، ط1، لبنان، 19887.
44. عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني (حياته وآثاره)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ط، الجزائر، 1974، ص160- 161.
45. عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار العلامة، ج2، ب ط، الجزائر، 2010.
46. عبد السلام الفيلالي، الجزائر الدولة والمجتمع، دار الوسام العربي، ط1، الجزائر، س2013م.

47. عبد العزيز شهني، الزوايا الصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، منشورات الأنيس، ط1، الجزائر، 2018.
48. عبد العزيز فيلالي، بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط، دار الهدى للنشر والتوزيع، د.ط، الجزائر، 2014.
49. عبد العزيز فيلالي، تلمسان في عهد الزياني (دراسة سياسية عمرانية اجتماعية ثقافية)، موفم للنشر والتوزيع، د.ط، الجزائر، س2002.
50. عبد القادر دحدوح، قسنطينة محطات تاريخية ومعالم أثرية، نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، ط1.، الجزائر، س2015م.
51. عبد الله عبد الرزاق مسعود السعيد، الطب رائداته المسلمات، دار الشهاب، د.ط، الجزائر.
52. عبد الله علي علام، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، عاصمة الثقافة العربية، د.ط، الجزائر، 2007.
53. عبد الله علي علام، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، وزارة الثقافة، الجزائر، س2007م.
54. عبد المجيد النجار، المهدري ابن تومرت، أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي السوسي، المتوفي سنة 524هـ/ 1129م، حياته وأراءه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب، دار المغرب الإسلامي، ط1، لبنان، س1983م.
55. عبد المنعم القاسمي الحسني، إعلام التصوف في الجزائر، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، س1427هـ.
56. عبده غالب أحمد عيسى، مفهوم التصوف، دار الجيل، ط1، بيروت، س1992م.
57. عزي بوخالفة، قسنطينة (قلعة النور الخالدة)، ط1، وزارة الثقافة، الجزائر، 2015.
58. علي خلاصي ، قسنطينة مدينة الجسور عبر العصور، منشورات الحضارة، ط1، الجزائر، س 2015م.
59. علي عشي، الجزائر في عهد الموحدين (دراسة تحليلية للأوضاع الفكرية)، دار النشر الجامعي، د.ط، تلمسان، س2019م.

60. علي محمد الصلابي، دولة الموحدين، دار البياق، د ط، عمان، س1988م.
61. عماد محمد عبد الله يسري، تاريخ المكتبات، دار الوفاء للدنيا الطباعة والتنشر، ط1، اسكندرية، 2017.
62. فهد بن صالح، قراءة القراءة، مكتبة ونشر العبيكان، ط2، الرياض، 2006، ص119.
63. كمال غربي، المساجد والزوايا في مدينة قسنطينة الأثرية، د.ط، منشورات شؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، س2011.
64. مبارك بوطارن، العمارة الدينية في المغرب الأوسط، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، د.ط، الجزائر، 2011.
65. محمد أحمد مفلح القضاة وآخرون، مقدمات في علم القراءات، دار عماد، ط1، الأردن س2001م.
66. محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، دار الهدى، د ط، الجزائر، س2011 م، ج3.
67. محمد الصغير غانم، سيرتا النوميدية، دار العلاج، ج1، د ط،الجزائر، 2015.
68. محمد بسكر، الانتاج المعرفي لمدينة قسنطينة (مابعد دولة الموحدين معالمه وأعلامه، دار الكودادة للنشر والتوزيع، م1، د ط، الجزائر، س2015م.
69. محمد عبد الحميد عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس، ت: عبد الغني عبود، دار الفكر العربي، ط1، 1982.
70. محمد محاسنة، الحضارة الإسلامية، مركز يزيد للنشر، ط1، الأردن، س2005م.
71. محمد مهدي بن علي شعيب، أم الحواضر في الماضي والحاضر (تاريخ مدينة قسنطينة، دار الروح للنشر والتوزيع، ج 1، ط1، الجزائر، س2015م.
72. محمد مهدي بن علي شغيب، أم الحواضر في الماضي وحاضر (تاريخ مدينة قسنطينة)،، ت: سفيان عبد اللطيف، دار الروح للنشر والتوزيع، ج2، ط1، الجزائر، 2015.
73. مروى عصام صلاح، التاريخ والثقافة المعمارية، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، ط1، عمان، س2014.

74. مصطفى بن حسان، معجم أعلام قسنطينة من صدر الإسلام إلى ما بعد الاستقلال، دار الإمام مالك للكتاب، ط1، م1، جزائر، س2015 م.
75. الباجي المسعودي، الخلاصة النقية في امراء افريقيا، ت: د. محمود زينهم محمد عزب، دار الافاق العربية، ط1، س2012م.
76. بلعربي خالد، إضاءات حول تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط، النشر الجامعي الجديد، د.ط، الجزائر، س2020م.
77. روباربرنشفيك، تاريخ الافريقية في العهد الحفصي من القرن 13 الى غاية نهاية القرن 15 ميلادي، دار الغرب الاسلامي، ج1، ط1، لبنان، س1988م.
78. محمد بن سنوسي، العمارة الإسلامية في التمنطيط، مقامات للنشر والتوزيع، د ط، الجزائر، 2013.
79. محمد عبد الغني حسن، سلسلة أعلام العرب (الشريف الإدريسي)، الهيئة العامة للتأليف والنشر، د.ط، مصر، س2003م.

الرسائل الجامعية:

80. بن فريحة روبة وحنتيت نورة، الحياة الفكرية في قسنطينة خلال العهد الحفصي، تاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة ابن خلدون، الجزائر، س2015- 2016م.
81. بوجلال نصيرة، بوجلال نصيرة، البتوتات العلمية في مدينة قسنطينة ما بين القرنين 7-10هـ/ 13- 16م، تاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة 8 ماي 1945، الجزائر، س 2016- 2017م.
82. تفاحة دري، علم الفلك في الغرب الإسلامي في العصر الوسيط ما بين القرن (5-9هـ/ 11- 15م) تاريخ العرب الإسلامي في العصر الوسيط، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، س2002م.
83. جعرون حليمة، حمادي شيماء، التعليم ومناهجه في المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط (الدولة الزيانيةأنموذجا)، تااريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، مسيلة، س2021م.

84. حاسي زهية، المدارس ودورها الفكري بالمغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع هجريين (14- 15م) ، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامع ابن خلدون، الجزائر، س2013/ 2014م.

85. عاقل حسان، مصطفاوي إلياس، ابن قنفذ القسنطيني حياته وإسهاماته العلمية 740هـ- 1339م/ 810هـ- 1407م، مذكرة ماستر تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، قسم العلوم الإنسانية، كلية علوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن خلدون، الجزائر، س2015م- 2016م.

المعاجم:

86. مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، س1996م.

المجلات:

87. عباس قويدر، المؤسسات التعليمية في المغرب الأوسط، خلال القرنين (8هـ/ 14م)، دورية كان التاريخية، دار الناشري، الكويت، س2012م.

88. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، علوم القرآن تاريخه وتصنيف أنواعه، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد1، ربيع الثاني، 14227هـ.

89. عفاف مصباح بلق، التصوف الإسلامي، كلية الشريعة والقانون العجيلات، جامعة الزاوية، مجلة كليات التربية، العدد14، س2019م.

90. محمد قويسم، علم الرياضيات وعلم الفلك في مدينة قسنطينة، ق7- 10هـ/ 13-16م، الجزائر، الجلة التاريخية الجزائرية، العدد11، ص2019.

91. محمد قوسيم، ابن قنفذ القسنطيني ومنهجه في كتابة التاريخ، الجزائر، مجلة حوليات جامعة قالمة للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 07، س2013م.

المراجع الأجنبية:

FERAUD,(C.H), histoire des villes de la province de Constantine, .bougie, arnault, paris, 1869

فهرس المحتويات:

شكر وعرفان	
إهداء	
فهرس المحتويات	
مقدمة	أ
الفصل الأول: لمحة تاريخية عن مدينة قسنطينة	
أولا: أصل التسمية	**9**
ثانيا: الموقع الفلكي و الجغرافي	**12**
1-الموقع الفلكي.	12
2-الموقع الجغرافي.	12
ثالثا: أهم المحطات التاريخية لمدينة قسنطينة	**16**
1-العهد الروماني.	16
2-قسنطينة تحت الحكم الإسلامي.	18
الفصل الثاني: العوامل المساعدة في ازدهار الحركة العلمية في مدينة قسنطينة	
أولا: علاقة الحكام بالعلم و أهله.	**28**
ثانيا: التبادل الثقافي وأهم الرحلات التي قام بها علماء مدينة قسنطينة	**33**
3-التبادل الثقافي.	33
4-أهم الرحلات العلمية.	33
ثالثا: أبرز العلماء ودورهم الثقافي في مدينة قسنطينة	**38**
3- أبو يعقوب يوسف بن يعقوب البويوسفي.	38
4-ابن قنفذ القسنطيني.	40
5-ابن الفكون.	43
الفصل الثالث:أهم مراكز التعليم في مدينة قسنطينة ونظام التعليم فيها	
أولا: المؤسسات التعليمية	**49**
1- المساجد.	49

2- الزوايا.	51
3- الكتاتيب.	54
4- المدارس.	55
5- المكتبات.	57
ثانيا: مناهج التدريس	**59**
1- طرق التدريس.	59
2- العلوم التي كانت تلقن للطلبة.	61
ثالثا: العلوم النقلية و العقلية	**63**
1- العلوم النقلية.	63
2- العلوم العقلية.	71
خاتمة	79
الملاحق	
قائمة المصادر والمراجع	86

ملخص:

تعتبر مدينة قسنطينة من أقدم الحواضر في المغرب الأوسط وعرفت خلال مسيرتها الحضارية بعدة تسميات، أما عن موقعها الجغرافي فقد ذكرها العديد من الرحالة أنها تقع فوق صخرة، ومرت عليها عدة دويلات ومنها الدولة الأغلبية، الفاطمية، الزيرية، الحمادية، والموحدية، والحفصية)، كما شهدت مدينة قسنطينة تطورا وازدهارا فكريا وعلميا بفضل تشجيع الحكام للعلماء ودعمهم، إضافة إلى الرحلات ساهمت بشكل كبير في تطور هذه الحركة، وربطت قسنطينة علاقات ثقافية بينها وبين الحواضر العلمية كالمشرق والأندلس وتونس، بجاية، تلمسان، وكان لها دورا كبير في الاحتكاك بمختلف الشيوخ والأخذ منهم، وتميزت بتطورها في ميادين مختلفة منها العلوم العقلية والنقلية وهذه الأخيرة ساعدت في الإنتاج العلمي والفكري كان مرتبطا بالعلماء والمنهج الذي اعتمدوه الذي كان له دورا كبر في إثراء هذه الحركة من خلال إنشاء مؤسسات تعليمية من أجل مداولة مختلف العلوم واحترام العلم والعلماء.

summary :

The city of Constantine is considered one of the oldest cities in the Middle Maghreb, and it was known during its civilized march by several designations. The city of Constantine witnessed an intellectual and scientific development and prosperity thanks to the encouragement and support of the rulers for scholars, in addition to the trips that contributed greatly to the development of this movement, and Constantine linked cultural relations between it and the scientific metropolises such as the East, Andalusia, Tunisia, Bejaia, Tlemcen, and it had a great role in contacting various sheikhs and taking them. It was distinguished by its development in various fields, including mental and traditional sciences, and the latter helped in scientific and intellectual production. It was linked to the scholars and the approach they adopted, which had a major role in enriching this movement through the establishment of educational institutions in order to discuss various sciences and respect science and scholars.